

# من الأعمال المختارة جبرييل مَارسيل - ١

• رجل \_\_\_\_\_ الله

• القلوب النهمّة أو الظمأ

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل



مسلسلة

من

المسرح العالمي

مسلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

الوكيل المساعد للشؤون الفنية

د. عادل سلامه

استاذ الأدب الانجليزي المساعد بجامعة الكويت

زكي طليمات

المشرف الفني لشؤون المسرح

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشؤون الفنية

وزارة الإعلام

ص.ب ١٩٣





من المسرح العالمي

أول ديسمبر ١٩٧١

شهرية



٥٦٦٨/٥

# من الأعمال المختارة

جبرييل مَارَسِيل - ١

● رجل \_\_\_\_\_ الله

● المتلوب النهمة أو الظكماً

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت



العنوان الأصلي للمخرية

GABRIEL MARCEL

**UN HOMME  
DE  
DIEU**

*Plèce en quatre actes*



LA TABLE RONDE  
8, rue Garancière  
PARIS



# مقدمة عامة

## بسم المترجم

جبريل مارسل • حياته • فلسفته • مسرحه

### أ - حياته

ولد جبريل مارسل - الفيلسوف والموسيقى والكاتب المسرحي - في السابع من ديسمبر ١٨٨٩ - من أسرة باريسية موفورة الثراء ، فقد تقلد أبوه - هنري مارسل - عدة مناصب هامة : فكان مستشارا للدولة وسفيرا لبلاده في بلاط ملك السويد ، ومشرفا على الفنون الجميلة ، ومديرا لدار الكتب القومية في باريس . وكان فضلا عن ذلك ناقدًا فنيا بارزا ، عرف بدراساته عن المصور « ميييه » Millet وعن فن التصوير الفرنسي في القرن التاسع عشر . وقد انصرف الأب في شبابه عن تعاليم المذهب الكاثوليكي تحت تأثير كتابات « دينان » و « تين » المتحررة التي انتشرت في أواخر القرن التاسع عشر انتشارا واسعا ، فأصبح « لا أدريا » ، ومن ثم لم ينعنَ عناية كافية بتلقين ابنه تعاليم الديانة المسيحية .

وفقد جبريل مارسل والدته وهو في الرابعة من عمره ، فتولت تربيته خالته التي كانت بدورها بروتستانتية متحررة ، ولكنها كانت مع ذلك شخصية مستبدة طاغية ، تنسم نظرتها إلى العالم بمسحة من التشاؤم ، وكأنه مكان غير صالح للسكنى . وهكذا كانت طفولة جبريل مارسل خالية من السند الديني العميق ، وكان عليه - فيما بعد - أن يهتدى إلى الإيمان الديني بجهد الشخصى .

ولم يلبث الأب أن تزوج الخالة بعد وفاة والدته مارسل بضع سنوات ، ولما كان « جبريل » هو الطفل الوحيد في ذلك البيت الذي أعيد بناؤه العائلي ، فقد كان موضع رقابة شديدة ، وخاصة من زوجة أبيه التي كانت تدس أنفها في كل كبيرة

وصغيرة تتعلق به . فكانت طفولته قاحلة مجذبة لا يكاد يجد فيها متنفسا لنزوات المشاعر ، وفراشات الوجدان . كما أن شعوره بحضور أمه - رغم وفاتها - جعله في ومى مبكر بذلك الاستقطاب المتوتر بين المرئى وغير المرئى الذى كان له فيما بعد تأثير عميق على كتاباته .

وقد اُرُضِعَ « جبريل » حب المسرح في صباه الباكر ، اذ كان أبوه من عشاق المسرح المولعين بكل ما يحيط به ، ويدور حوله ، فكان يقرأ لابنه في الأمسيات التي يقضيها داخل المنزل روائع المسرحيات الفرنسية ، أو الأجنبية المترجمة اليها ، قراءة ذات أداء ممتاز ، تركت أثرها العميق على خيال الطفل وعلى عواطفه .

هذا الجو الثقافى الرفيع ، وتلك الرقابة المشددة ، دفعا الطفل الى التفوق في دراسته تفوقا ملحوظا ، فتألق تألقا باهرا في ليسيه كارنو Carnot فكان ينتزع الجوائز الأولى من أقرانه دون انقطاع ، ومع ذلك ، فإنه لا يحمل لهذه الفترة من حياته أية لكريات طبية ، اذ كان يمقت القيود المدرسية مقتا شديدا ، جعله يثور فيما بعد على التقاليد والمواصفات الاجتماعية .

وانبح أول تحرر له من ربقة تلك القيود ، حين سافر مع أبيه الى استوكهولم في يناير عام ١٨٩٨ ، وكان أبوه مديرا بوزارة الخارجية الفرنسية حين استدعى لتمثيل بلاده في العاصمة السويدية . غير أن هذا التحرر لم يستمر أكثر من عام ، انتقل بعده الصبي الى باريس لاستئناف دراسته . وكانت المناظر التي وقعت عليها عيناه في السويد : « الصخور والأشجار ومياه البحر » ترمز أفضل رمز للعالم المعبذب الذى « تنطوى عليه جوانحه » - على حد تعبيره . وبين أبناء رجال السلك الدبلوماسي ، كان الصبي يمارس هوايته المفضلة وهي أن يستشف من ملامح الوجوه تلك العوالم المجهولة التي يحتفظ بها كل منهم دفينة في أعماق نفسه .

وفي الأعوام التالية ، أشبعت الاجازات الصيفية حب استطلاعها للبلاد المجهولة ، وهو يستحضر - في استعراضه لماضيه - اقامة له في إحدى قرى جبال الالب في بافاريا تسمى هونشفنجر ، استحضارا رائعا فيقول : « أعتقد اننى لا أجانب الصواب اذا قلت ان فرامى بالرحلات كان مرتبطا دائما بحاجتى الى مزج عالمي الداخلى بالطبيعة على قدر الامكان . وكنت قد تخليت منذ امد بعيد عن فكرة أن هذا المزج يمكن أن يكتسب في مسقط رأسى مرة واحدة وإلى الأبد ، وهكذا كان على أن اغتصبه بعد صراع شاق « من تجوالى في البلاد الأجنبية » .

ولم يكن غريباً أن تتولد في نفس طفل هذا شأنه رغبة قوية في استبطان ذاته ، وأن تدفعه حياته العائلية الى أن يحيا في عالمه الخاص ، وأن ينمو في باطنه ، ومن خلال تطلعاته ، ومشامره الطفولية - ذلك الاحساس الميتافيزيقي الذي سيكون على اكبر جايب من الاهمية في حياته المقبلة ، واعني به الاحساس بأنه « يحيا في كنف ذاته » Chez-moi .

وكان طبيعياً أن يلجأ الطفل الى الكتابة، محتتماً بها من ذلك الوجود الصحراوي الذي يحيط به ، فكتب في محاولتين مسرحيتين : احدهما بعنوان يوليوس Julius والآخرى بعنوان كاموز camuse ، ومن خلال هذه المحاولات للكتابة كان يسعى الى المشاركة في الحياة الخارجية ، والى النفاذ في نفوس الآخرين والتوغل في أعماقهم ، والى إعادة تركيب الكائنات التي لا يعرفها الا من الخارج ، متوسلاً بخياله الخصب .

بيد أن حب استطلاعهم ونهمهم للمعرفة اتخذوا في تلك المرحلة طابعاً شاملاً لا يكاد يترك شيئاً ، فطفق يلتهم آثار الآداب الأجنبية ، وخاصة الأدبين الألماني والانجليزي ، وأكمل معارفه المستمدة من الكتب برحلات جديدة ، فلم يترك ركناً من أوروبا الا زاره ، ولا مكاناً تاريخياً الا حَجَّ اليه .

وفي سن الخامسة عشرة ، قدم للشاعر « فرنان جريج » Fernand Jregh مسرحية قصيرة مؤلفة على نمط مسرحيات إبسن ، تصور حالة قسيس ارتد عن دينه . وكانت هذه المسرحية - على حد قوله - « ارهاصاً صبيانياً بمسرحيته القادمة رجل الله . وفي العام التالي ، كتب مسرحية أخرى بعنوان ورطة ، محاكياً بها مسرحية اسكندر دوما المعروفة باسم نصف - عالم Demi - Monde .

وتلقى جبرييل مارسل تعليمه الجامعي في السوربون ، وهناك أمد رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بعنوان : « تصورات كولريديج الميتافيزيقية من حيث علاقاتها بفلسفة شلنج » . وفي تلك الفترة توثقت عرى الصداقة بينه وبين عدد من الأدباء الشباب يذكر منهم هنري فرانك صديق الكاتب الشهير بـ Barrès وأنا دي نواي Anra de Noailles ، وجاك ريفير Jacques Rivière الذي تركت رواياته عن « الحياة الباطنية » للأشخاص تأثيراً عميقاً على نفسه . وفي الحادية والعشرين من عمره نال درجة الأجر جاسيون في الفلسفة ، وجاء ترتيبه الثاني ، وكان الأول هو « جان فال » Jean Valh أستاذ الفلسفة والمفكر الفرنسي المعروف الذي كان يتقدم لهذه الدرجة العلمية للمرة الثانية .

وفي هذه الفترة ، أرغمته صحته الواهنة على مغادرة باريس لقضاء عدة شهور على شاطئ البحر في السويد ، وهناك شرع في كتابة بحث عن « المشاركة في الوجود » وهو البحث الذي يعد نقطة تحول في تفكيره الفلسفي الذي كان متأثرا في بداياته بالمثالية ، وخاصة بالهيجلية الانجليزية الجديدة ، ففي هذا البحث هاجم هذا الاتجاه هجوما عنيفا يعيد الى الأذهان هجوم كيركجورد أبي الوجودية على هيجل ، مع انه لم يكن قد قرأ حتى الآن كلمة واحدة لكيركجورد .

وفي عام ١٩١٠ حدث في حياته ذلك اللقاء الحاسم ببرجسون . وكان برجسون قد خرج ذلك العام من اعتكافه الطويل بريف فرنسا ، وأخذ يلقي محاضراته القيمة بالكوليج دي ترانس أمام جموع غفيرة من المثقفين الفرنسيين الذين اقبلوا من كل حدب وصوب يجتذبهم صيت المفكر الفرنسي وشهرته ، ومن هذه المحاضرات التي كان برجسون يلقيها بصوته المتشد ، وجلاله المهيب ، وموسيقيته الرقيقة ، اتخذ فيلسوفنا الشاب انطلاقته ، فأقام في قلب البرجسونية فلسفته في الوجود ، وان تقدم على خطوات استاذة المتملة الرزينة ، مدفوعا بشبابه الفض ، وحماسه الفائر .

وبدأت شخصية مارسيل الجامعية في عام ١٩١١ ، فعمل استادا بليسيه مدينة « قندوم » الساحرة بضعة شهور ، ولكنه لم يقنع بمهنة التدريس ، وشرع في اعداد كتابه « يوميات ميتافيزيقية » للنشر ( ولم يكن سوى مجموعة مذكرات يهد بها لرسالة الدكتوراه ) ، وفي هذا العام نفسه ( ١٩١١ ) كان قد انتهى من كتابة أولى مسرحياته المنشورة وهي النعمة أو اللطف La Grâce .

واشتعلت الحرب العالمية الأولى ، فأشاعت الاضطراب في حياته ، وبثت الحيرة في نفسه ، ولما كان امتثال صحته يحول بينه وبين الخدمة العسكرية ، فقد كلفه صديقه « اكرافيه ليون » أن يحل مكانه في الاشراف على ادارة البحث عن المفقودين التابعة للصليب الأحمر ، وكان ذلك الصديق مرفعا على مغادرة باريس والرحيل الى اكس - آن - بروفانس . وقد كان من الممكن أن ينظر شخص آخر غير مارسيل الى هذا العمل على أنه اداری بحت ، بيد أن وقَّعه على نفس فيلسوف مثل مارسيل كان مختلفا أشد الاختلاف ، فقد رأى من واجبه أن ينقل من خلال ذلك الحاجز الذي يفصل بين الأحياء والأموات . فثمة في جانب أحياء متلهفون على معرفة مصير أقاربهم المفقودين ، وفي الجانب الآخر أشخاص في حكم المفقودين ، وعلى « مارسيل » أن يبلل

أقصى جهده في البحث والاستقصاء للوصول الى شيء من اليقين تطمئن اليه نفوس أولئك الأحياء القلقة . وكان عليه في أغلب الأحيان أن يبلغ أقارب المفقودين بوفاة من يسألون عليه . هذا الموقف ألغى مارسيل الى تأمل شروط كل بحث ، وكل استفسار ، والى أن يتساءل : « كيف يمكن للروح أن تتجاوز ذلك المستوى الذي لا نستطيع أن نتقدم فيه الا بالاسئلة والاجوبة؟ » وأصبح شغله الشاغل منذ ذلك الحين أن يرتاد أسرار الوجود ، وخاصة ذلك السر الذي يفصل بين الأحياء والأموات ، وهكذا كان لتلك المهمة التي قام بها أثناء الحرب العالمية الأولى تأثير حاسم على تطوره الروحي .

وفي هذه الفترة من حياته درس مؤلفات الفيلسوف الأمريكي جوزياه رويس Josiah Royce ، ونشر منه مقالات في مجلة الميتافيزيقا والأخلاق ، وقد توسع في هذه الدراسة فيما بعد ، وأذاع نتائجها في كتاب نشره في دار أوبييه .

وقد أقنعته تجربة الحرب ، بما كان قد اشتشفه بطفولته البريئة الصادقة ، وهو أن الكائنات البشرية لا تترك الى ظاهرها فحسب ، وأن غير المرئي يضرب بجذوره فيما هو مرئي . وأفضت به بعض التجارب التي وقعت له في شتاء عام ١٩١٦ - ١٩١٧ كما أفضت ببرجسون من قبل - الى التسليم بحقيقة الظواهر الروحانية . ولكنه لم يكن يخفى رايه بأن هذه التجارب يمكن أن تعمل المرء من اليقين التام الى اليأس الكامل ، دون المرور بمرحلة وسط . وهذا الانتقال المأساوي المفاجيء هو ما نشعر به عند قراءة مسرحيته محطم الأصنام I Ironoclaste وهو العمل الذي خرج به مارسيل من هذه الفترة من حياته . وقد اعترف مارسيل بخيبة الأمل التي صادفها في تلك التجارب ، وأمني بها استحضار أرواح الموتى بمزول عن التدخل الالهي فيقول : « يبدو أن الله - من وجهة النظر الدينية - هو وحده ذلك الوسيط الفريد الذي يسمح بأن أكون حقا مع ذلك الذي يقيم الصلاة . وبوضع ضرورة هذا التوسط ، وبهذا الشرط وحده ، نستطيع أن نبسِّد الخلط بين المستوى الديني الحق ، والمستوى الروحاني » . ( يوميات ميتافيزيقية ) Journal Metaphysique

ولم تمر بحياة مارسيل بعد ذلك أحداث هامة ، فكان تاريخه هو تاريخ صدور مؤلفاته ، وعاد الى تدريس الفلسفة في « سانس » Sens من سنة ١٩١٩ الى ١٩٢٣ ، غير أن هذه الفترة تتميز بنتاجه المسرحي الفزير ، فقد انتهى فيها من كتابة مسرحية رباعية من مقام فادييز ، وكتب مسرحية محطم الأصنام - وكتب الآخرين

و النظرة الجديدة ، وموت الفد ، و رجل الله التي نشرت عام ١٩٢٥ ، و مصباح  
النفس ، و ترفيه بعد الوفاة .

وعاد « مارسل » الى باريس ١٩٢٣ ، حيث اقام نهائيا في شارع تورنو ، غير  
بعيد عن المسكن الذي كانت تقطنه الكاتبة الانجليزية « كاترين منسفيلد » التي  
اشتهرت بمجموعة رسائلها الممتازة ، والتي كتب مارسل مقدمة لترجمتها الفرنسية .  
وفي هذه الفترة تزوج ابنة عم القسيس بوجنر Boegner ، وكان من  
اصدقائه الذين يجلهم اجلالا خاصا . وقد كانت زوجته المثقفة خير عون له في حياته  
الادبية والموسيقية ، اذ كانت تساعد مساعده قيّمة ، وخاصة في تدوين الحانه  
وميلودياته التي تدفقت عليه ابتداء من عام ١٩٢٥ . بيد ان هذه الزوجة والسكرتيرة  
في آن واحد توفيت في عام ١٩٤٧ دون ان ينجب منها ، ولكنه تبنى طفلا ، كانت مشاعره  
نحوه مصدرا لما كتبه من السر المائلي ، وعن الابوة ( من الابهاء الى النداء ) .

وفي باريس ، عمل عند الناشرين « دسليه دي بروويه » و « بلون » قارئا للكتب  
قبل نشرها ، وحل محل صديقه « شارل دي بوس » الذي التقى به عند « جاك ريقير »  
عام ١٩٢٢ في ادارة سلسلة Feux Croisés - كما تعاون مع « المجلة الفرنسية  
الجديدة » ولم يلبث ان اصبح ناقدما المسرحي ، ثم تولى الاشراف على صفحة  
النقد الادبي في مجلة أوروبا الجديدة وخلف بعد ذلك « جاك كوپو » Jacques Copeau  
في تحرير مجلة الاخبار الادبية .

وكان عام ١٩٢٧ من الاموم الهامة في حياته ، فقد نشر فيه كتابه يوميات  
ميثا فيزيقية Journal Métaphysique ، وهي يوميات تسجل تطوره الروحي ،  
ولا تهتم بالاحداث الخارجية ( على عكس يوميات آمبيل مثلا التي تمزج هذا بتلك )  
وفيها هاجم موجة الالحاد المنتشرة في عصره هجوما عنيفا . وعنده ان الالحاد يتمثل  
في اتجاهات ثلاثة : ١ ) العقلانية الفيزيائية - الرياضية التي تبتلع الانسان داخل  
طبيعة لا انسانية خالية من الروح ٢ ) فلسفة التكنولوجيا التي تنكر التأمل الروحي  
انكارا جذريا - ٣ ) الفكرة الصورية عن الحياة كمنبع لكل قيمة ، واساس وحيد  
للتقويم . والمهم انه قد تبدى في هذه اليوميات مهموما بفكرة الالهى ، حتى ليحسبه  
القارئ مسيحيا بالقول والفعل . والحق انه كان في هذه المرحلة مترددا في الالتزام  
بالايهان المسيحي المحدد ، وان لم تكن اسباب تردده واضحة في بداية الامر .  
وعندما نشر « فرانسوا مورياك » - بعد عامين او ثلاثة كتابه الله والشيطان ، أبدى

« مارسل » أعجابه بالكتاب ، فوجه اليه « موريالك » هذا السؤال في رسالة بعث بها اليه : « لماذا لستَ منا ؟ » ويتأمل هذا السؤال ، أدرك « مارسل » أن ما يمنعه من الاعتراف بالإيمان هو خوفه من الارتباط والالتزام ، وبالتالي فقدان حريته . ولكنه تغلب على هذه الصورة الدقيقة من الأفراد ، فعتمد في كنيسة البندكتين في ٢٢ مارس عام ١٩٢٩ ، وكان اشبينه حين تلقى العماد هو « فرانسوا موريالك » نفسه .

ولم تكن الحرب العالمية الثانية ( ١٩٣٩ ) مفاجأة لجبريل مارسل ، فقد أحس بتأثيرها ، وتنبأ بوقوعها الوشيك وفتائنها منذ أمد طويل ، وكذلك لم يباغته تدمير باريس ، فقد كان كابوسا ملحا يزعم رؤاه وأحلامه . وكانت فترة الاحتلال الألماني لفرنسا فترة أخلد فيها الى الصمت التام ، فقد ابتعد عن باريس ، وعن المنطقة التي يحتلها الألمان ، وأقام مع زوجته في منزل ريفي كان قد اشتراه في يونيو سنة ١٩٤٠ في منطقة « كوريز » غير بعيد عن « تورين » ، وعلى حافة الطرف الأقصى من ليموزان وكيرسي ، « هناك حيث تختفي أشجار الكستناء لتحل محلها أشجار الجوز ، وحيث تخلف المراهي الباسمة التي تحف بها الحشائش الخضراء الأرض الصخرية » . وكانت الظروف والملابسات التي أحاطت باكتشاف هذا المنزل وشرائه قد جعلت الفيلسوف يعتقد أن ثمة غائبة حقيقية تربط بهذا الامتلاك ، وقد كان الإنسان والفنان في مارسل مرتبطين منذ زمن طويل بتلك المناطق من فرنسا التي تمتد من ليموزان الى دوورج Rouergue مارة بكيرسي .

ومقب الحرب ، كان مارسل من المعارضين المتشددين لاية مصالحة مع المحتل ، وقد نشرت مجلة كندية مجموعة من المقالات الجريئة التي كتبها مارسل فداة انتصار الحلفاء .

ولم ينقطع جبريل مارسل عن التأليف الفلسفي والمسرحي على السواء ، ففي الفلسفة تعاقبت مؤلفاته بعد نشره لليوميات الميتافيزيقية فأصدر الوجود والملك ( ١٩٣٥ ) ، ومن الأبناء الى النداء ( ١٩٤٠ ) و الإنسان الجواه ( ١٩٤٤ ) ، و الناس ضد الأنساني ( ١٩٥٠ ) ، وسر الوجود ( ١٩٥١ ) والإنسان المشكل ( ١٩٥٤ ) وانهيار الحكمة ( ١٩٥٥ ) . وفي المسرح ، أضاف الى مسرحياته المأساوية ، مجموعة من المسرحيات الكوميدية القصيرة .

وقد فاز جبرييل مارسل بارفح الأوسمة والتقديرات ، فنال عام ١٩٤٨ جائزة  
الادب الكبرى من الاكاديمية الفرنسية ، وحصل بعد ذلك على وسام اللجيون دونور ،  
وظفر بعضوية المعهد ابتداء من ١٩٥٢ خلفا « لاميل برييه » مؤرخ الفلسفة المشهور ،  
ثم خلف برجسون في مقعده بأكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية ، وهو المقعد  
الذي خلا بوفاة الفيلسوف الفرنسي الكبير عام ١٩٤١ .

وفي العامين التاليين ( ١٩٤٩ - ١٩٥٠ ) ألقى جبرييل مارسل عدة محاضرات  
بجامعة أبردين Aberdeen باسكتلندا ، وهي المحاضرات المعروفة باسم محاضرات  
جيفورد Jifford ، ولم تكن تلك الجامعة قد وجهت الدعوة من قبل الا لفرنسي  
واحد هو برجسون .

وقد طوّف جبرييل مارسل في أنحاء العالم شرقا وغربا ، فزار أمريكا اللاتينية،  
وألمانيا ، وإنجلترا ، وبلجيكا ، وسويسرا ، وإيطاليا ، وإسبانيا وغيرها ، وشرّج  
الكثير من كتبه ونوأساته الى لغات العالم الحية . وهو يحيا الآن في باريس حياة  
هادئة منظمة ، سمحت له بأن يجمع بين نشاطه كفيلسوف ، وكاتب مسرحي ومحاضر  
ممتاز ، وناقد فني في مجلة دورية كبيرة ، ومؤلف موسيقي لم ينقطع أبداه منذ سنة  
١٩٤٥ ، فقد لحن عددا من قصائد شينييه ، ولامارتين ، وفاليري ، وأوديلون - جان  
برييه ، وأميلي برونتيه ، ورلكه ، وسوبر فييل . وغيرهم . وهو ينعم في أحوام  
شيخوخته بصداقة الكثيرين من الأدباء والفنانين نذكر منهم نروبير جاريك وجوستاف تيبون،  
وماكس بيكار ، وتروافونتين ، وفيسار ، وجوليان لانوثي ، وقد التف هؤلاء جميعا  
حوله نظرا لما تمتاز به شخصيته المترنة من سخاء ، ووضوح في الرؤية ، ورغبة  
صادقة في الاتصال ، وقدرة فائقة على الحوار ، وعلى الدفاع عن الأفكار التي جعلت  
لحياته معنى ، في حماس وحرارة ، هذا دون أن يحول ذلك الحماس من الاصفاء  
الى الآخرين ، والتعاطف مع أفكار أبسط الناس . وعلى الرغم من كل تجاربه مع  
الحياة والناس فإنه لم يفقد بشاشته ، ولم يتخل عن تفاؤله ، ولم يتحول من أمله،  
رغم كل ما يحفل به عصرنا من متناقضات ومفارقات .

## ب - فلسفته

### الخلفية التاريخية :

تأثر مارسل بادىء الامر بالمثالية الالمانية ، وخاصة كما تتمثل في فلسفة شلنج ، فكان موضوع رسالته التى نال بها دبلوم اللواسات العليا هو « تصورات كولريديج الميتافيزيقية في علاقاتها بفلسفة شلنج » ، ثم قرأ بعد ذلك مؤلفات الهيجليين الانجليز الجدد من امثال براداي وبوزانكت وهوننج ، ولم يلبث أن أقبل بكل همته على دراسة الفيلسوف الامريكى « جوليا رويس » الذى ألف عنه عام ١٩١٧ كتابا شاقا نشر لأول مرة عام ١٩٢٥ . وقد ظل مارسل يشاطر رويس احساسه العميق بشدة ارتباط الناس بالمجتمع الذى ينتمون اليه ، كما أخذ عنه فكرة الوفاء وفكرة الولاء ، وهما الفكرتان اللتان توسع فيهما بعد ذلك توسعا كبيرا ، واكتسب من برادلى شيئا مما تميز به هذا المؤلف في شعوره بما هو ذاتى شعورا مراوفا .

تجلى هذه المؤثرات واضحة في القسم الاول من « يومياته الميتافيزيقية » ( ١٩٢٧ ) كما تكشف هذه اليوميات أيضا عن ذلك الاهتمام الذى اقسم به الفرنسيون بالمشكلة الديكاربية من العلاقة بين العقل والمادة .

غير أننا نستطيع أن نعكس جبرييل مارسل تلميذا - بحق - للفيلسوف برجسون ، واليه أهدى « مارسل » يومياته ، وانصرافه عن المثالية الجديدة - كما عرضها الفلاسفة الانجليز يرجع الى تأثير البرجسونية القاهر عليه ، فقد أخذ يركز تأمله « على الظواهر الشاذة التى تتهرب منها النزعة العقلية أو تنصرف عنها بشكل متفاوت الوضوح من أجل نهج نسيجها التصورى مثل : الاحساس ، اتحاد النفس بالبدن ، وقائع علم النفس فوق المعتادة » ( يوميات ميتافيزيقية ) ، ويتضح لنا هذا التحول في القسم الثانى الذى كتبه في المدة من ١٥ سبتمبر ١٩١٥ حتى ٢٤ مايو ١٩٢٢ ، والذى يعرف باسم الوجود والملك ، وفي هذا القسم يتخذ مارسل موقفا صريحا فيما يتعلق بالايمان ، ضد النزعة العقلية ، ويتناضل في سبيل الاستقلال الذاتى وعصمة الشعور المباشر والعاطفة ، فىرى أن المشكلة الميتافيزيقية تقوم في

« المثلث بواسطة الفكر ، وراء الفكر ، على عصمة جديدة ، ومباشرة جديد »  
( يوميات ميتافيزيقية ) .

ولكننا نستطيع أن نؤكد أن فكر مارسل على الرغم من ترحيبه بكل هذه  
المؤثرات - سواء من شلنج أو من الهيجلين الجدد أو من رويس أو برجسون - قد  
اتخذ تطوره الروحي خطأ مستقلا ، يبدأ من توجيه الأسئلة الى نفسه ، واعطاء الاجابة  
من نفسه عليها .

وفي اللحظة التي كتب فيها جبريل مارسل يومياته الميتافيزيقية ، لم يكن قد  
عثر من جديد على الكاثوليكية . والواقع أن طابع الاشكال الذي يميز ذلك الكتاب ،  
قد تطور بصورة أشد صراحة عند ما كان مارسل خارج الدين . ولكن من المناسب أن  
نقول أن هذا الطابع قد ظل كامنا في فلسفته حتى بعد تحوله الديني ، واليه يرجع  
جزء من قيمة هذه الفلسفة .

### منهجه :

لا يخفى جبريل نفوره من « المذهب » في أكثر من موضع من مؤلفاته ، فيقول:  
إن نمط الفلسفة الذي ينتمي اليه فكره لا يسمح بوجود نتائج جاهرة ، يمكن أن  
يحملها المرء ويمضي في طريقه . ذلك أن المذهب شيء « نمتلكه » ، شيء يطيب لنا أن  
نطوف به ، وأن نقيم فيه . أما الفيلسوف بالمعنى الذي يفهمه « مارسل » فهو على  
تقيض « المالك » إذ هو إنسان يجتهد في المشاركة على نحو أكثر وعيا في حياة .  
تعلو على حياته الشخصية . *Supra Personnelle*

ولعل أول التزام يتعهد به الفيلسوف نحو نفسه ، هو أن يعتد مع المحسوس  
أو « العيني » *Concrète* صلة مستمرة ، وعليه أن يستريب دائما فيما يدفعه الى  
الهروب ، أو الى خيانة الواقع الملموس بالارتقاء في أحضان الافكار المجردة . إن  
ذلك الذي يتفلسف « هنا والآن » يظل دائما فريسة للواقع ، ولا يعود أبدا على  
واقعة الوجود ، فالوجود لا يتفصل عند « مارسل » عن دهشة معينة ، وانبهار  
معين ، أشبه بدهشة الطفل وانبهار الشاعر . ويتفلسف المرء بمقدار ما يحتفظ من  
روح هذا وذاك بنصيب . ويتثنى « مارسل » على شوبنهاور ونيتشة لأنهما انتقدا بشدة  
أسئلة الفلسفة ، فهؤلاء يضعون بينهم وبين الواقع جهازا مدرسيا أوديا لكتيكيا ،

يُنتهى بأن يضع على أبصارهم غشاوة . وإذا كان العالم يفكر بعقله وحده فإن الفيلسوف هو ذلك الذى يفكر بكل كيانه .

ومع ذلك ينبغي ألا يؤخذ هذا الارتياب فى المذهب على أنه موجه ضد الاتساق اوضد التأمل العقلى ، وعلى أن مهمة الفلسفة مقصورة على وصف المشاعر الدائمة ، بل أن « مارسل » يخشى روح المذهب من حيث أنها تدعى اتخاذ وجهة النظر المطلقة الخاصة بالله ، ومنها تتأمل الكون فى جملة ، مع أن الواقع هو « أننا نفهم العالم على نحو جزئى ، ومن جانب واحد . » ( من الإباء الى النداء ) .

وإذا شئنا الدقة ، قلنا أن الفيلسوف هو ذلك الشخص الذى يحاول لقاء الضوء على وضعه الإنسانى . ولما كان هذا الوضع يتطوى على تحديدات ، لأنه داخل - أولا وقبل كل شيء - فى مسار معين للعالم ، فإن التفكير فى هذه التحديدات يتجاوزها على نحو ما . والمهم هو ألا ننخدع بتجاوز يتضح فى نهاية الأمر أنه ظاهرى أكثر منه واقعى . وليس من حق الفيلسوف - على تقيض ماذهب إليه هيجل واسبينوزا - أن يحتل بالنسبة الى الكون موقعا مركزيا يسمح له بتجاوز وجهات النظر الجزئية جميعا . فها هنا ادعاء زائف غير مشروع علينا أن نحذر منه ، فإذا كنت أستطيع أن أجرد موقفى الجزئى الخاص ، إلا أننى لا أستطيع أن أجرد « كل » موقف أيا كان شأنه .

يتجه مارسل الآن منذ البداية الى تكوين فلسفة مبنية ترتبط بالوجود الفردى أولا وقبل كل شيء ، ولهذا يقول : « الواقع أنه بقدر ما تنبه مجهودى الفلسفى الى ذاته تنبها واضحا ، بدا لى أن المشكلة الرئيسية هى معرفة كيف يكون من الممكن ادماج تجربتي - من حيث هى تجربتي أنا - فى نسق معقول على نحو فعّال ، وذلك مع احتفاظها بخصائصها التى تتميز بها « هنا والآن » ، وبسماتها الفردية ، بل بنقائصها أيضا ، تلك النقائص التى تجعلها ما هى عليه الى حد ما . . . . . ولهذا بدا لى - من جهة - أن هذا الادماج لا يمكن أن يتحقق ، بل لا يمكن أن يكون موضوعا للمحاولة ، وأن فكرة « النسق المعقول » فكرة مشكوك فى أمرها ؛ ومن ناحية أخرى ، بدا لى أنه من الضرورى أكثر من ذلك أن احفر ، بدلا من أن أبني ، أعنى أنه من الواجب أن أبدا بسؤال نفسى عن التركيب العصيم لتجربتي، لا من حيث مادتها أو مضمونها لحسب، بل أيضا - وبوجه اخص - من حيث كيفيتها فى « وجودها كتجربة » ( من الإباء الى النداء ) .

ان « مارسل » يريد أن يبدأ من شيء مشكوك فيه ، وهذا الشيء هو التجربة . ولكن بأي معنى يفهم « مارسل » هذه الكلمة ؟ انه لا يعنى بها التجربة القائمة على الادراك الحسى ، فتلك هى التجربة التي يبنى عليها العلماء نتائجهم ، وهى تجربة يمكن أن يحل فيها شخص محل أى شخص آخر ، كقراءة ارتفاع عمود الزئبق في ترمومتر مثلا . وانما يعنى مارسل بالتجربة ، « التجربة الوجودية » ، تجربة « الانا » التي لا يمكن أن يحل فيها شخص آخر مكانى ، كعلاقتي بابنى مثلا ، ففى هذه التجربة عنصر « شخصي » أصيل ، يند عن التحقيق ، بعكس الحال في التجارب العملية القابلة للتحقق Rérifiables . في تجربة العيان الحسى نستطيع أن نقول ان الناس جميعا متماثلون ، أو في هوية تامة ، أما في التجربة الوجودية ، فيختلف شخص عن آخر ، كما انها شيء غير قابل للتحقق منه ، أو البرهنة عليه .

فلسفة جبريل مارسل في جوهرها هي « منهج للبحث فيما لا يقبل التحقق Methodologie de L'invérifiable » ، هي ارتياد ما يستعصى - في الواقع على المعرفة الموضوعية . هل يمكن أن نتحقق مثلا من وجود الله أو خلود الروح بالتجارب العلمية أو بالمعرفة الموضوعية ؟ ولكن ، ليس معنى هذا أن مجال ما لا يقبل التحقق هو نفسه مجال « اللاواقع » Iréel ، بل هو ما يند « بطبيعته » عن المعرفة الموضوعية . وهنا يقول « مارسل » « ربما أمكن ادراك اهتمامى الميتافيزيقى الجوهرى المستمر ادراكا دقيقا ، اذا قيل انه بالنسبة لى يتعلق بالكشف عن كيف أن اللات - من حيث هى ذات - ترتبط بحقيقة يصبح من الصعب في هذا المجال أن نصورها بوصفها موضوعا ، لكن مع بقائها رغم ذلك حقيقة لأبد منها ، ولابد من الاعتراف بها في آن واحد . ولم تكن هذه الأبحاث ممكنة الا بشرط أن نتجاوز مذهب سيكلوجيا يقتصر على تعريف بعض المواقف ووصفها دون أن يأخذ في اعتباره المفزى الذى ترمى اليه ، ومقصدها الواقعى ... أما ما كانت خطئى في البحث ترمى الى استبعاده استبعادا حاسما ، فقد كان مفهوم فكر يُعرّف طبيعة الواقع تعريفا موضوعيا على نحو ما ، وينظر الى نفسه حينذاك على أنه قادر على أن يركز عليه . ولكننى على العكس من ذلك - ومن حيث المبدأ - وضعت في اعتبارى أن المحاولة لا يمكن أن تجرى الا في داخل واقع لا يستطيع الفيلسوف أبدا أن يقف أمامه كما تقف أمام لوحة نأملها » ( نظرة الى الوراثة ) .

فمنهج مارسل لا يدفعنا الى دراسة مشكلات فلسفية ، لاننا نحن هذه المشكلات ، ونحن نحياها ( وسنتبين فيما بعد ما يعنيه مارسل بهذه العبارة في التعرض لتفرقة

بين المشكلة والسر ) ، ولن تكون لمة « فلسفة هينية » دون توتر يتجدد دائما بين « الأنا » الواقعية ، الأنا المتجسدة ، وبين الواقع الذي لا ينفذ ، ولا يمكن أن نتقدم في هذا السبيل إلا بشرط « أن نبذل جهدا طويلا شاقا من التنقية - أو ان شئنا الدقة - من التطهير ، للتخلص من كافة المكاسب الزائفة ، والشوائب التي القاهها الوجود والضغط الاجتماعي والأحكام السابقة وأوهام الفرور على شخصيتنا الحية . » ( من الأبناء الى النداء ) .

فالتجربة التي يبدأ منها « مارسل » ، والتي لا يكف عن الرجوع اليها واستحضارها تجربة فردية هينية ، وليست التجربة التي تم تعميمها وإدراجها في مخطط وإبتدائها ، أنها ليست تجربة « الناس » التي يقنع بها كثير من الفلاسفة ، بل هي تجربة يسميها « وجودية » لكي يبين أنها بأكملها مشتبكة بالواقع الأشد أصالة ، وذلك بوصفها تجربة حارة تنبض بالحياة .

يتلخص هذا المنهج الصعب إذن في أن نسير على نحو ما الى لقاء أنفسنا ، وأن نجد أنفسنا في أشد ما يكون فيها من أصالة والتصاق بالشخصية ، ثم ان نعمن الفكر في هذا الكشف الذي يمكن أن نمضي فيه دائما الى الامام لكي نميط اللثام عن معناه وقيمه . يقول مارسل : « ان هذا المنهج واحد دائما في أساسه : وهو تعمق موقف ميتافيزيقي أساسي معين ، موقف لا يكفي أن أقول انه موقفى ، ذلك انه يتألف في الجوهر من كونه أنا . والفلسفة اذا فهمت على هذا النحو الذي هو عكس تلك الفلسفة التي لا يعدو جوهرها مجرد النظر الخارجى والتي أوردنا اياها العصر القديم - تنحصر إذن في أن اتنبه من طريق التأمل الدالى الى أعماق ما في نفسى وأشد التصاقا بها . » ( الوجود والملك ) .

## الوجود المتجسد :

على حين يبدأ ديكارت من تلك العبارة المشهورة « أنا أفكر ، إذن فأنا موجود » ، يبدأ « جبريل مارسل » من الشرط الثانى لتلك العبارة ، وهو « أنا موجود » ، فالواقع أن واقعة وجودى هي التجربة الاولى التي لدى عن نفسى . فعلى أى نحو أشعر بهذا الوجود ؟ أننى أشعر به مرتبطا بجسم ، أو بتعبير أدق بجسمى أنا . وهذا الجسم هو طريقتى الخاصة للدخول في هذا العالم ، بمعنى أننى لا أوجد في هذا العالم إلا على هيئة جسم ، فكان التجسد هو محور الفلسفة ، لأنه الشرط الأساسى

لادراك العالم ، فهو ليس مجرد معطى بين معطيات أخرى ، بل هو الأساس لكل المعطيات الموجودة في العالم . وليس جسمى هو اداتى الخاصة ، لان أبسط تأمل يكفى لإثبات أن هذا التعدد للجسم بوصفه أداة ، شيء أرانى مرغما على تجاوزه ، لأن جسمى هو الذى يسمح لى باستخدام الأدوات أيا كانت . فلا يكفى أن أقول اننى استخدم جسمى ، بل أنا مجبر على إضافة « أننى » جسمى بمعنى ما . وقد يبدو مارسل هنا خاضعا لنظرية مادية في النظر الى مشكلة العلاقة بين النفس والجسم ، والواقع أنه يتجاوز هذه الثنائية الديكارتية الشهيرة مرة واحدة وإلى الأبد فيقول : « أن هذه الأولوية التى تسكّم بها على هذا النحو للجسم في التجربة ، ترجع الى أن هذا هو « جسدى أنا » ، وأنه بالتالى مملوك لشيء أعمق وأكثر جوهرية . صحيح اننى أقول أيضا « تفكيرى » ، بل أكثر من ذلك أقول « نفسى » ، ولكن هذا في الحقيقة يثبت اننى لست أنا ، ولا الموجود — أن أردنا الدقة — بجسم ولا نفس ، فكلاهما يملكه ذلك الموجود الذى هو الكل وينسبه الى نفسه ، أعنى تلك « الأنا » التى لا يمكن — اذا أردنا التدقيق — أن أقول عنها انها « انائى mon jec » ، لأنها وحدها ليست مملوكة ، بل هى مالكة ، وهى ليست محوطة ، وانما محيطة . » وعلى هذا فإن التحليل الوجودى لتجربة التجسد يؤدى بنا الى أن نجعل اتحاد النفس بالجسم ، وكذلك من اتحاد النفس وبقيّة العالم ، أعنى « الوجود في العالم » حقيقة واحدة . ( الوجود والملك ) . وهذا الوجود في العالم الذى نتحدث عنه هنا ليس هو وجود مجموعة من الموضوعات أو الأشياء الموضوعة جنبا الى جنب ، والتي ترغمنا مقتضيات الفعل وحدها في كثير أو قليل من الاحيان — على تمييز بعضها عن البعض الآخر ، وانما هو حضور معين سميك وفاعل يرغمنا نحن أنفسنا الى الوجود . ( الوجودية والفكر المسيحي ) .

## الوجود والملك :

وهاتان التجريبتان : تجربتى لجسمى وتجربتى لانتمائى في العالم ، تفرضان على شعورا بضرب من التعارض بين همليتين أساسيتين هما « الوجود والملك » L'être et L'avoir وهذه تفرقة هامة في فلسفة مارسل ، إذ يعتبر تحليل فكرة الملك مدخلا الى معرفة الوجود . والملك عنده نوعان : « الملك — الامتلاك » ، Avoir - Possession كان امتلك منزلا أو سيارة ، و « الملك — المتضمن » Avoir — implication وهو أن املك هذه الصفة أو تلك . لان الصفة

يبدو لي داخل الجسم الذي تميزه ، ونحن لا نستطيع أن نفكر في التضمن دون أن نفكر في القوة . والسمة المشتركة في هذين النوعين من الملك هي أنه قابل لأن يُعترض، وأن يُعترض للغير . وفي « الملك - التضمن » لا يتفصل ما هو خارجي عما هو داخلي، بحيث يقوم بين الواحد والآخر علاقة تؤثر متبادل ، تنشأ عن أن الشيء المملوك خاضع للتقلبات التي تعتور الأشياء ، وهذه العلاقة تتعرض لأحباط الجهد الذي أبداه لادماجه فيء ، وجعله وإياي شيئاً واحداً ، فهو بهذا مركز لنوع من الدوامية التي نسيجها المخاوف والوان القلق .

المهم هو ألا أجعل الخارج يطفئ على الداخل ، ولما كان الجسم هو نمط ذلك الملك - التضمن ، فإن خضوعي للخارج يجعل « جسمي يلتهمني بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة. » وهذا ينطبق أيضاً على الممتلكات الخارجية التي تلتهم الإنسان حين يستغرق فيها ، وينشغل بها ، بحيث نستطيع أن نقول أنه « كلما زاد المِلك ، قلَّ الوجود » والعكس صحيح ، وهكذا يتبدى لنا الملك على أنه ينزع إلى القضاء على الوجود ، واذابته في نفسه .

ولكي أستطيع أن أجعل المِلك في خدمة الوجود ، ينبغي عليّ أن أسيطر بصورة إيجابية على الصلة بين الذات والموضوع ، بين « الداخلية » و « الخارجية » ، بحيث يصبح الموضوع الخارجي مناسبة ومادة للإبداع الشخصي الحر ، وبهذا يتحول الملك إلى وجود ، ويكون حينذاك تعبيراً حياً عن الواقع الذي أكونه . ولن يكون هذا ممكناً إلا بواسطة الحب الذي هو إخضاع الذات لحقيقة أسمى . وبالحب وحده تكون قادرين على مواجهة الوجود دون إحالته إلى مِلك ، فما السر الذي يكمن في الحب بحيث يعطيه هذه القدرة ؟

## السر والمشكلة :

لغة تفرقة أخرى هامة يضعها « جيريل مارسل » بين السر والمشكلة . ولهذا يحسن بنا أن نوضح للقارئ هذه التفرقة التي لا نغالي إذا قلنا أنها مفتاح فلسفة مارسل كلها .

المشكلة شيء أصادفه واجده قالما بأكمله أمامي ، دون أن أكون داخلاً فيه ، وكأنه صخرة توضع في طريقي دون أن أكون متضمناً فيها . فهي شيء خارجي بحث تقف منه الذات موقفاً منفصلاً تمام الانفصال ، فكل مشكلة هندسية مثلاً لا يؤثر على

مصرى ولا يعرض حياتى أو وجودى للخطر . أما السر فمسألة يوضع فيها وجودى كله موضع الاعتبار ، فهو شيء اشتبك فيه أنا نفسى ، وبهذا ينطوى على الذات ، ولا يمكن أن اجعله موضوعا للفكر ، إلا إذا جعلت نفسى موضوعا للفكر كذلك . فلا فرق مثلاً بين أن نسأل ما هو الوجود ، وبين ما هو وجودى أنا ، لأن الوجود سر من الأسرار . والسر مشكلة عندما انظر اليه من الخارج ، أى عندما يصيب الآخرين ، ولكن حين يصيبنى أنا ، حينئذ لا يمكن أن انظر اليه نظرة موضوعية من الخارج ، لأننى أصبحت داخل المشكلة ، وبهذا تتحول الى سر . والحرية سر لأنها فى قلب الفكر الذى يعاول البحث عن معناها ، والحب سر لأننى أربط فيه بكل وجودى وكيانى . وهذه الأسرار جميعاً مظهر لسر واحد ، هو سر الوجود . فحين أسأل ما الوجود ؟ أشعر اننى - أنا الذى أضع السؤال - موجود . الوجود هو السر الأكبر ، أو سر الأسرار ، ولا حل له ، لأنه ليس مشكلة ، وهو حاضر حضوراً دائماً ، ونحن نشارك فيه دون أن نملكه ، ونعرف عليه دون أن نعرفه .

والخطأ الرئيسى فى الفلسفة ينحصر فى أنها تنزل السر الى مرتبة المشكلة ، أو الى موضوعية بحثة على زعم أنها تحصل بذلك على وضوح اكمل : وما هناك من مفارقة فى الحقيقة ، وفى كل ما هو واقع ، سواء كان واقعى أنا أو واقع العالم - هو أنه على العكس من ذلك ، لا يكون متصوراً لنا إلا من حيث هو سر ( الوجود والملك ) . . الى درجة أنه « بغير السر تصبح الحياة غير صالحة لأن نتنفسها » ( من الأباء الى النداء ) .

وعلى هذا ، نحن لا نجد فى الميتافيزيقا أية مشكلات نتقدم فى حلّها شيئاً فشيئاً ، أو عصراً بعد آخر ، لأن مثل هذا التقدم لا يكون إلا فى الفكر الموضوعى ، الفكر العلمى ، الذى يحيل كل شيء الى موضوع يستنفذه بالتحليل ، أو بالطريق التجريبي ، وإنما الميتافيزيقا عبارة عن سلسلة من الأسرار ، تفضى حلقاتها بعضها الى البعض الآخر ، وتعود الواحدة الى الأخرى ، لأنها تشترك جميعاً فى سر واحد ، هو سر الوجود .

ويعتقد « جيريل مارسل » أن عدم التفرقة بين السر والمشكلة من الأسباب التى قضت على « الدهشة » ، وهى الدافع والمحرك الأول للتأمل الفلسفى ، بحيث أصبح الوجود الفردى فى العالم الحديث مهتداً بأن يبتكع فى تجريدات لاوجود ملموس لها ، واضعياً الإنسان مجموعة من الوظائف الحيوية والاجتماعية ، أما

الوظائف النفسية ، فيحاول البعض ادخالها ضمن الوظائف الاجتماعية ، لان الوظائف النفسية لا تقوم - في نظر العلم - بنفسها ، وارتباط الانسان بوظائفه ايا كانت اجتماعية او حيوية - تصور يبعث على اليأس ، لانه يجعل من الانسان كائناتيا يتصرف وفق وظائفه المقدسة له دون أن يكون له وجود متميز عنها ، وبهذا يمكن أن يقوم بهذه الوظائف أى انسان آخر بدلا منه . ومن ثم يطلق جبريل مارسل على هذا العالم الالى اللاشخصى اسم العالم المحطم أو « العالم المكسور » ( وهذا هو اسم مسرحية لمارسل نترجمها في هذه المجموعة المختارة من أعماله ) .

## الاتصال بين الأنا والأنت :

« الأنا » عند جبريل مارسل - على عكس الحال عند سارتر - هو في جوهره اتصال بالانت وبالأشخاص الآخرين . وعلى حين ينتهى سارتر من تحليله لعلاقة الذات بالغير الى اخفاق هذه العلاقة في كل صورها ، ينتهى جبريل مارسل الى امكان قيام الاتصال بين « الأنا » و « الأنثى » التى تتصاعد فتصبح «الانت المطلق» *Toi Absolu* الذى هو الله . وهذه النتيجة نلسمها - ولو ضمنا - في اول كتاب لجبريل مارسل ، وأعنى به كتابه « يوميلت ميتافيزيقية » . فالحب والصداقة يكشفان لى عن وجود الغير بأن يجعلنا من هذا الوجود حضورا بالنسبة لى في نفس الوقت الذى نكون فيه حضورا بالنسبة اليه : « أنا » فى مواجهة « أنت » . وأساس هذه العلاقة بين الأنا والأنثى هو العلاقة التى تربطنى بنفسى ، فليس أبعد عن الصواب من القول بأن الذات فى هويّة مع نفسها ، والواقع أنه مامن شىء أبعد من البساطة ، وأقرب الى الالتباس من العلاقة التى تربطنى بنفسى . وبتبسيط - هو فى الحقيقة تبسيط فاضح للواقع الروحى - أمكن للفلاسفة أن يتخيلوا على صورة الهوية - ولفترة طويلة - العلاقة التى تربط الأنا بنفسها ، والتى تؤلف بصورة أعمق - الأنا من حيث هى كذلك . فالأحرى أن يتعلق الامر بمدينة داخلية قابلة لأن تتخلل مظاهر متنوعة ومتباينة كالمدينة المرئية نفسها - وأنا أستطيع أن أعيش مع نفسى كما أعيش مع حبيب ، أو صديق ، أو أخ بل أن أعيش معها فى بعض الأحيان ، كما أعيش مع الأعداء . فإذا لم تدرس هذه الأحوال المتباينة كل هذا التباين « للوجود مع الذات » دراسة تفصيلية ، فإنه من المحتمل أن تظل الحقيقة النفسية لغزا « ( الوجود والفكر المسيحي ) .

فالأصل في الوجود أن يكون مشاركاً في الوجود Co — Existence ، وان يتخذ صيغة « نحن » لا « أنا » فحسب ، وهذه المشاركة لا تقتصر على مجرد المعية في الزمان والمكان — أى في مجرد الوجود « مع » الآخرين ، وإنما هي حضور متبادل واندماج . كما هي الحال في الصداقة والحب . فلأنا — كما يقول مارسيل — لا يوجد إلا بقدر ما ينظر الى نفسه على أنه موجود للآخرين . « وكلما نجحت في تحرير نفسى من سجن التمرکز الذاتى ، تزايد وجودى فى الواقع الفعلى . »

ومن هذا التصور العام للـ «أنت» ، يمكن الارتفاع الى فكرة مجددة عن الحياة الدينية أو الصوفية ، اذ نستطيع ان نقول بمعنى ما ان الله هو « الأنت » الذى لا يمكن ان يصبح « هو » الا اذا اسانا اليه وفدونا به . وهذا ما أردت ان اقله حين كتبت مثلاً أننا حين نتحدث من الله ، فليس الله هو الذى نتحدث عنه . وهذا ما يمكن ان ننظر اليه بوصفه الأساس الميتافيزيقى للدعاء والصلاة . « ( الوجودية والفكر المسيحى ) .

## الوفاء والامل :

حين نقف « الانا » ازاء « الأنت » ، تكون شخصاً يقف في مواجهة شخص ، او « حضوراً » امام حضور آخر . وهذا « الحضور » نشعر به اقوى ما يكون في تجربة الحب ، بل انه في هذه الحالة يتحدى كل « غياب » ، حتى لو كان الموت نفسه ، ولكن كيف يمكن ان يتم هذا التحدى بالوفاء .

فالواقع ان الحب يصبح تجربة خالية من المعنى ان لم يتضمن التزاماً ما . التزاماً لا يأتى من الخارج ، وإنما ينبثق من أعماق وجودى ، وهو يكون ما يشبه النبض او ايقاع وجودى نفسه .. ثمة التزام يفرض على ان اجعل معنى وجودى غزيراً ، وأن احيا اكمل ما يكون الوجود امتلاءً .. وعلى ان اجعل في خدمة هذا الالتزام وفاء يصبح بتأثيره الخاص — لا مجرد شهادة مستديمة على وجودى وقيمتة — بل وفاء « خَلِّقاً » ، ويكون أكثر خَلْقاً ، كلما عظم ما يشهد عليه ( الوجود والملك ) . فالوفاء معناه — في بساطة — ان يتمسك الانسان بكلمته ، ويرتبط بالوعد الذى قطعه على نفسه ايا كانت الظروف والملابسات العابرة . وحين اقطع على نفسى عهداً ، أقيّد مستقبلى كله ، لان الوعد يفترض ان تظل مشامرى كما كانت حين قطعت هذا الوعد على نفسى، وهذا مستحيل لان المشامر في تغير مستمر. فالوفاء يضعنى

في محنة.. والواقع، ان لمة عنصرنا ثابتا فينا لا يتغير بتغير الحالات النفسية، هو الذي يعطى « للآنا » وحدتها وتماسكها . والوعد أو الالتزام هو ارتباط هذا العنصر الذي يتعالى على الحياة النفسية ويتجاوزها ، كما أنه لا يتقيد بالموقف الراهن ، وانما يتعالى على الحاضر والمستقبل معا ، لأنه لا يتقيد بالواحد أو بالآخر ، وانما يتقيد بكلمته ووعدته فحسب . فلابد من احتفاظي بالوحدة والثبات وسط ما تنصف به الحياة من كثرة وتغير ، وان اعترف بالماضي وأواجه الحاضر واصنع المستقبل بنوع من الابداع المستمر لنفسى ، ابداع هو والوفاء شيء واحد . ذلك أن الوفاء ليس احتفاظا بأمانة عهد البنا بحفظها والحفاظة عليها كما هي ، والا كانت الإدراج في المكاتب هي أوفى شيء ، وانما الوفاء مختلف عن هذا المعنى تمام الاختلاف . لأنه أولا وقبل كل شيء حياة ، والحياة نماء لا مجرد تراكم ، والجوهرى في الوفاء هو - بلا شك - واقعة الاستمرار في التصرف وكأننا مازلنا مهتدين بشيء لم نعد نراه في الواقع . ولهذا لا يتخذ الوفاء معناه الا في عالم الغياب والانفصال .. عالم الفناء والموت . والوفاء يعترف بهذا العالم ، ولكنه يتجاوزه ، بل - ان شئنا الدقة - انه يعامل ذلك العالم بوصفه اختبارا للحب الذي يضره ، والذي هو مبدؤه وطبيعته الحقّة .

وقد حاول جبريل مارسيل ان يعالج هذين الموضوعين بطريقة ملموسة في كتابيه « من الإباء الى النداء » و « الانسان الجوال » وخاصة في فصلين متممين هما « السر العائلي » و « العهد الخلاق بوصفه ماهية الأبوة » ، وقد حاول أن يثبت فيهما انه لا يمكن التفكير في العائلة بوصفها واقعا الا بالأمل وبنوع من الوفاء الخالق ليقول : « ان هناك سرا عائليا يتجاوز كل ما نفهمه عادة - بمصطلحات « الملك » الخالص من كلمة « العائلة » . ذلك أن الأمر لا يتعلق بمجرد المحافظة على تراث مادى أو تنميته ، وانما يتعلق الأمر بالمشاركة في قيمة - أى في ترتيب تصاعدى محترم ومُعْتَرَف به - وفي حضور .. هو في حضور « نحن » متميزة عن غيرها ، متحققة بواسطة تواصل في بيت وبقعة مألوفة ، وبحسب تقاليد ومشاعر تستعصى على الاحالة الموضوعية ، ولكننا نعيشها بعمق ، حيث نجد فيها باستمرار وجه الحب نفسه ، والسند الاكيد للأمل . ولهذا كله قيمة خلاقة ، ذلك انه مامن شيء - ان شئنا الدقة - معطى تماما : وهذا السر يجب أن أحياء ، وبالتالي أن اجعله



والوفاء يكون دائما مطلقا وبلا أية تحفظات ، لأن الوفاء المكبل بالشروط والقيود ليس وفاءً ، بل ارتياحاً وشكاً ، وبالتالي فإن هذا الوفاء المطلق — يرغمني بواسطة طبيعته نفسها — على الارتفاع شيئاً فشيئاً — حتى أصل الى المطلق الالهي . وهذه الصلة بيني وبين الله « الذي هو اقرب الى نفسي من نفسي » هي صلة بين شخصين ، وهي بالنسبة لي مبدأ الابداع الحقيقي ، لأنني بالصلاة والعبادة اشارك في منبع وجودي ، وفي « الحب » الذي جعلني موجوداً ، في اتحاد لا يبلغ مداه التعبير .

وربما كانت الاضافة الحقيقية لمارسل هي التوكيد على عدم كفاية العالم ، فهذه الفكرة في حد ذاتها ، تؤلف خطوة هامة في الطريق الروحي ، اذ تكشف لنا عن مطلب معين — لا يرضى بهذا العالم ، اياً كان تركيبه ، وهذا المطلب هو الله ، وحين يضعنا « مارسل » وجها لوجه ، ازاء سر الوجود ، يهيب بنا أن نتجاوز الموضوعية الخالصة التي تتسم بها المعرفة العلمية ، وأن نقف متاهين على عتبة « حضرة الله » .

## ج - مسرحه

ينبغي علينا أن نؤكد منذ البداية على أن فلسفة جبرييل مارسل لا تنفصل عن مسرحه ، فهما وجهان من عملة واحدة ، هي العملة التي يتعامل بها مع الوجود. بل - أن شئنا الدقة - قلنا انه يسلك في التعامل مع هذا الوجود طريقا ذا ثلاث شعب : الدراما والفلسفة والموسيقى . وهو يحاول بهذه الوسائل الثلاث من وسائل التعبير أن يعيط اللثام عن معنى التجربة الانسانية ، ففي مسرحياته يركز على الوجه الدرامي الفامض المتعدد الدلالات لهذه التجربة التي تنطوى على خليط هائل من الأسئلة الحائرة والمشاعر القلقة ، والاحاسيس والارهاصات التي تسبق كشفاً يلوح غاية في القرب وغاية في البعد على حد سواء ؛ أما الفلسفة فهي اللحظات التأملية التي يحلل فيها دلالة تلك الأسئلة ، ويوضح الأجوبة التي تفرض للانسان في التجربة ؛ وأما الموسيقى ، فهي بالنسبة له - أشبه بومد للوجود في « عالم آخر » ، اذ يشعر في حالة الابداع الموسيقي بأنه « ملهم » ، وخاصة حين يرتجس - أى يشعر بأنه يرتبط من الداخل بكل أولئك الذين يشاركون في تلك المغامرة المتغيرة الحادة التي ينخرط فيها بكل ماهو عزيز عليه ، ولهذا فان الموسيقى بالنسبة اليه ، تجربة اتصال تنطوى على قيمة دينية .

وقد أكد جبرييل مارسل مرارا عديدة على أن مسرحه لم يتطور مستقلا عن اهتماماته الفلسفية ، كما انه لم يتطور موازيا لها ، وانما تطور ابتداء من منبع واحد بعينه هو الاحساس بسر الكائنات وبالقيمة . جبرييل مارسل يحاول منذ ظهور مسرحياته الاولى أن يضع على الأقل هذه الأسئلة بأشد الصور حدة ، وبأكثر الطرق وجودية ، ان لم يكن يحاول تقديم اجابات عليها .

ولقد كان « مارسل » حريصا - منذ البداية - على الارتباط بالواقع المعيشي لا يتخلى منه لحظة واحدة ، ولا يجعله يغيب عن ناظريه طرفة عين ، ذلك أن مشروع وجوده الاساسي هو ان يعبر عن التجربة الذاتية - أو الوجودية - بكل ما فيها من امتداد وعمق ، وبكل ما تحمله من عنصر شخصي أصيل ، ولهذا فهو يرحب بكل ما كان



في تلك المحن والاختبارات التي تظهره على حقيقته ، ان جاز هذا التعبير ، و «مارسل» يتابع هذا الامتحان دون رحمة أو شفقة ، وبكل ما يملك من حدة وقدرة على الاستشفاف ، وان كان من النادر ان نحس منه رغبة في الوصول الى نتائج ، كل ما يهدف اليه هو ان ينتزع من شخصياته الحد الأقصى من التفسير ، وان يلقى الاضواء الكاشفة على احوال تلك الشخصيات .

ومرح « جبريل مارسل » يدور حول تلك المشكلات - أو الأسرار بمعنى أصح - التي مرضناها في القسم السابق الخاص بفلسفته . فكل مسرحية من مسرحياته تدور حول اهتمام أو أكثر من الاهتمامات التي شغلته طيلة حياته . والحق ان مسرح «مارسل» مسرح استنباطي بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، وكأنه قد أخذ على نفسه عهدا بأن « يحفر » في أعماق نفسه الى أقصى ما تستطيع وسائله الانسانية أن تصل به . ولهذا فإنه لا « يبنى » بمسرحه شيئا ، ولا يقدم لنا نتائج أو حلولاً جاهزة ، وانما كل ما يفعله هو أن يثير اهتمامنا بوضعنا الانساني ، ويسر الوجود ، وهو يحاول الكشف عن الحقيقة الباطنة المستقرة في أعماق الانسان ، كل ذلك دون رمزية مستغلقة ، أو حذقة وتقمير في الأسلوب ، وانما بأبسط صور الحوار وأشدّها يومية .

وعلى الرغم من كل هذا الذي قلناه عن رغبة مارسل في انشاء مسرح حي لا ينمزل من الوجود النابض بالحياة ، ومن هموم الانسان الأبدية ، ومن اقتناعه - واقتناعنا - بأولوية الكائنات على الأفكار - على الرغم من كل هذا فان مسرح « جبريل مارسل » يضع مشكلة « المسرح الفلسفي » أو « المسرح الذهني » بكل ما فيها من حدة . فقد أدخلت مؤلفاته الفلسفية في روع الكثيرين انه فيلسوف يكتب للمسرح ، وأن مسرحياته باردة فاترة تخلو من النبض والحياة ، وأن مسرحه جزيرة منعزلة قائمة بذاتها وسط الإنتاج الدرامي المعاصر . والواقع أن جبريل مارسل نتيجة لرهافة الحالات التي يختارها ، والمواقف الدقيقة التي يضع فيها أبطاله ابتغاء استخلاص ما تنطوي عليه جوانحهم من تركيبات وجودية هاية في الاستمرار والعمق والخفاء ، وكذلك نتيجة لتكوينه الجامعي واهتماماته الأكاديمية ، فان مسرحه جاء دون شعور منه - وهذا شيء طبيعي - بحيث لا يتأتى للكثيرين ان يدركوا كل ما يعميه ويشير اليه .

وقد يذهب بعض النقاد الى الحاق مسرح جبريل مارسل بالمسرح الذى يشرح قضية Theatre à thèse أو الذى يؤدى رسالة ، ولكننى اعتقد أن اطلاق دراما المواقف على مسرح جبريل مارسل أكثر دلالة وانطباقا عليه ، كما أننى لا أنفى منه أنه مسرح فلسفى ، اذا فهمنا من ذلك أنه يتعمق الوضع الإنسانى ويحرره ويلقى الضوء عليه ، وهذا ما ينطبق على كل مسرح صادق عميق جدير بهذا الاسم ، فالواقع أن المسرح « يكون فلسفيا بقدر ما يكون موضحا ومحررا للوضع الإنسانى » على حد تعبير أحد النقاد ، كما أن المؤلف الدرامى لا يكون جديرا بهذا الاسم ، ان لم يكن هو نفسه شخصياته المختلفة التى يعرضها على خشبة المسرح .

وايا كان همق مسرح « جبريل مارسل » ، فإنه لا يتوجه به - منتبها - الى رجل الفكر وحده ، وإنما الى كل انسان فى هذا العالم ، وهذه رسالة الفيلسوف الحق ، اذ يعتقد مارسل أن رفض الانسان للقيم الحقيقية وللإيمان راجع فى كثير من الأحيان الى « عدم الانتباه » الذى تتسبب فيه الحياة الحديثة بما تحمله للفرد من تشتيت وتجريد من إنسانيته ، بيد « أن كل انسان يستطيع أن يستيقظ فى أية لحظة من هذا النوم ، وذلك تحت مؤثرات متباينة أشدها تأثيرا فى النفس وجود الأشخاص الذين يشعرون إيمانا صادقا .. » ( الوجود والملك ) .

---

✽ يقول استاذنا الدكتور محمد مندور فى مقدمته للطبعة الاولى من مسرحية رجل الله ( ١٩٦١ ) : « مسرحيات المواقف اصطلاح اذاعه سارتر فى الأدب والنقد ، وله عدة مجلدات بعنوان مشترك هو « مواقف » يحلل فيها مواقف إنسانية مختلفة ، ونوع السلوك الذى يفرضه كل موقف ، وكذلك المسرحيات الوجودية ، ففى كل منها ترتفع الستار عن موقف تجمعت خيوطه التى تجعل منه أزمة من أزمت السلوك البشرى . والمسرحية الوجودية على هذا الوضع تكاد تشبه المسرحية الكلاسيكية التى ترتفع عنها هى الأخرى الستار وقد تجمعت خيوطها بحيث لا يكاد يتم عرض هذه الخيوط وتعريفنا بها وبالشخصيات المشتبكة فيها حتى تأخذ الأحداث فى التطور فالتأزم حتى القمة فالانفراج . ومع ذلك فالمسرحية الوجودية تختلف عن المسرحية الكلاسيكية اختلافا واضحا فى أن الموقف فيها ليس أزمة أحداث درامية ، بل أزمة فكرية خالصة على نحو ما نرى فى مسرحية « رجل الله » .. ( ص ٢٠ - ٢١ )











# مؤلفات جبريل مارسيل المسرحية

مرتبة حسب تاريخ كتابتها

La Grace	اللفظ ( او النعمة ) - ( ١٩١١ )
Le Palais de Sable	قصر من الرمال - ( ١٩١٣ )
وقد نشرهما مارسيل عام ١٩١٤ في مجلد واحد تحت عنوان :	
Le Seuil Invisible	المَتَبَّة الخفية ( ١٩١٤ )
Le Quatuor en fa dièse	رباعية من مقام فاديز ( ١٩١٦ - ١٩١٧ )
L'Iconoclaste	محطم الأصنام ( ١٩١٦ )
Le Regard Neuf	النظرة الجديدة ( ١٩١٩ )
La Mort de Demain	موت الغد ( ١٩١٩ )
Le Cœur des autres	قالب الآخرين ( ١٩١٩ )
Un Homme de Dieu	رجل الله ( ١٩٢٢ )
Colombyre ou le Brasier de la Paix.	كولومبير او جمرة السلام
La Double expertise	الفحص المزدوج
Les Points sur les I	النقط على الحروف
Le Divertissement posthume	ترفية بعد الوفاة
وقد نشر مارسيل هذه المسرحيات الأربعة الأخيرة تحت عنوان :	
Theâtre Comique	المسرح الكوميدي ( ١٩٢٣ )

<b>L'Horizon</b>	الأفق ( ١٩٢٨ )
<b>Le Monde Cassé</b>	العالم المحطم ( المكسور ) ( ١٩٢٢ )
<b>La Chapelle Ardente</b>	مصباح النعش ( ١٩٢٥ )
وقد نشرها مارسل مع مسرحيتي « النظرة الجديدة » و « موت الفد » تحت عنوان :	
<b>Trois pieces</b>	ثلاث مسرحيات ( ١٩٢٥ )
<b>Le Chemin de Crete</b>	طريق القمة ( ١٩٢٥ )
<b>Le Fanal</b>	المنار ( ١٩٣٦ )
<b>Le Dard</b>	الرمح ( ١٩٣٦ )
<b>Les Coeurs Avides ou La Soif</b>	القلوب النهمّة أو الظما ( ١٩٢٧ )
<b>L'Emissaire</b>	المبعوث ( ١٩٤٥ )
<b>Le Signe de la Croix</b>	علامة الصليب ( ١٩٤٩ )
وقد نشرت هاتان المسرحيتان معا تحت عنوان :	
<b>Vers un autre Roya(me</b>	نحو مملكة جديدة ( ١٩٤٩ )
<b>Rome n'est plus dans Rome</b>	روما لم تعد في روما ( ١٩٥٠ )
<b>La Dimension Florestan</b>	بُعْد فلورستان ( ١٩٥٢ )
<b>Mon Temps n'est pas le votre</b>	عصري ليس عصره
<b>Croises et Multiblies</b>	زُد وضاعف
<b>La Vraie Vie est absente</b>	الحياة الحقّة غائبة
<b>La Fin des Temps</b>	نهاية الأزمان

مسيرۃ  
رَجُلِ اللّٰهِ

تألیف : جبریل مارسل  
ترجمہ و تقدیم : فواد کامیل



## مقدمة

### سخرية "رجل الله" بعلم المترجم

انتهى « جبريل مارسل » من تأليف هذه المسرحية عام ١٩٢٢ ، ولكنها لم تُعرض على خشبة المسرح الا في عام ١٩٤٩ . ومعنى هذا انه كتبها قبل أن يتحول نهائيا الى الكاثوليكية عام ١٩٢٩ ، ومع ذلك فإنه لم يقصد بها أن تكون اتهاما موجها الى البروتستانتية، أو ادانة لها ، أو سخرية منها . فقد كانت خالته، التي أصبحت له أما ثانية بعد وفاة أمه - من المذهب البروتستانتي ، كما أنه صاهر فيما بعد أسرة بروتستانتية كبيرة ، هذا بالإضافة الى أنه كان على صداقة وثيقة بكثير من رجال الدين البروتستانت ، وبخاصة الراعي بوجنر Boegner الذي كانت زوجة مارسل إحدى قريباته . فلكى نحسن الحكم على المسرحية ينبغي أن نستبعد منذ البداية فكرة الاستهانة بالبروتستانتية أو الرواية بها .

وربما كان « مارسل » يهدف - على الأرجح - الى إبراز وتصور حالة نادرة لما يتمكن أن تحدثه الوظيفة الروحية من تشويه أن لم تؤخذ بما ينبغي أن تؤخذ به من حب وتكرار للذات ، أو لعلنا نستطيع أن نقول في بساطة أن العيب يكن دائما في الأشخاص ولا يكن في الدين أو في الإيمان .

وعلى مكبس « جان - پول سارتر » الذي يرى أن « الجحيم هو الآخرون » ، يذهب جبريل مارسل الى أن الجحيم هو الذات المغلقة على نفسها « ... الذات التي لا تفتح على حب الغير ، ولا تكف الا على نفسها ، ولا تكف من تقويم هذه النفس وتقديرها ونقدتها » .

فالفكرة الرئيسية في هذه المسرحية هي « عدم التفتح للغير » *L'indisponibilité* وهي حالة تصيب أولئك الذين يستغرقون في محاسبة أنفسهم بحيث يصيرون نوع من الهوس الأخلاقي ، فلا يفتنون الى ما يدور في نفوس أقرب الناس اليهم .







## شخصيات المسرحية

<b>Claude Lemoyne</b>	● <b>كلود ليموان</b>
<b>Docteur Francis Lemoyne</b>	● <b>الدكتور فرنسيس ليموان</b>
<b>Michel Sandier</b>	● <b>ميشيل سانديين</b>
<b>Mégat</b>	● <b>ميغال</b>
<b>Fred Junod</b>	● <b>فريد جينو</b>
<b>Le Petit René</b>	● <b>رينيه الصغير</b>
<b>Edmée</b>	● <b>أدميه</b>
<b>Osmonde</b>	● <b>أسموند</b>
<b>Mme Lemoyne</b>	● <b>مدام ليموان</b>
<b>Mlle Aubonneau</b>	● <b>مدموازيل أوبونو</b>
<b>Félicie</b>	● <b>فيليسي</b>



## الفصل الأول

( صالون عائلة « ليموان » . . الأثاث عادي مبتذل تشيع فيه البرودة . . . على الجدران لوحات دينية « لبورنان » ونسخة من لوحة عذراء سان « سكست » . .

### المنظر الاول

#### اسموند وميجال

( الاثنان واقفان ، « ميجال » لم يخلع معطفه ) . .

ميجال : أرجو المعبدة باآنستي . . أرى أنك مازلت تتناولين طعامك . . ومع ذلك فقبد طلبت من الخادم ألا تزعجك . . .

اسموند : تفضل بالجلوس . . ( يجلس ميجال ) . ليس لهذا أية أهمية ، فنحن نتناول إفطارنا أيام الآحاد في ساعة متأخرة جداً . فهناك دائماً اشخاص يودون التحدث مع أبي عند خروجه من المعبد . . هذا إلى أننا كدنا نفرغ من تناول الإفطار .

ميجال : لقد كان لطيفاً منك أن تقترحى الخروج لحظة من  
الأطفال هذا العصر . . ذلك إذا لم أكن قد أخطأت  
الفهم . . وقد أردت أن أتأكد حقاً أنى لا أسى  
استغلال . . .

أسموند : كلا ، على الإطلاق . . . فأنا بالصدق لست مشغولة  
هذا العصر

ميجال : لست أدري كيف أشكرك . . خاصة وأننى لم أكن  
أعلم ما أصنع بالأطفال اليوم . . فالخادم غائبة طيلة  
النهار . . وأنا ذاهب إلى « إيبينيه » .

أسموند : ومدام ميجال ؟

ميجال : لا تغيير هناك . . . ذلك أن مرضاً مثل هذا المرض . .  
هذا إذا استطعنا أن نسمى ذلك مرضاً .

أسموند : أهى تتعذب ؟

ميجال : من المحال أن يحكم المرء . . فهى تشكو باستمرار . .  
ولكن الأطباء يؤكدون لى أن الإيجاء الذاتى دخلاً  
كبيراً في الموضوع .

أسموند : أه ؟

ميجال : والواقع أن هذه هى السمة الوحيدة التى تذكرنى بما  
كانت عليه من قبل . . وإلا فإنه لو كان الأمر على

خلاف ذلك ، لما كانت هي نفس الشخص . .  
( بصوت خافت ) بل إنه لم يعد في وسعنا أن نقول  
إنها شخص على الإطلاق . .  
( صمت ) . .

أسموند : لست أدري اذا كانت « سوزان » قد أنبأتك بأنها  
أجابتنى إجابة جيدة جداً في مدرسة الأحد هذا الصباح  
ميجال : من حسن الحظ .

أسموند : كما أنني راضية تماماً عن « إيفون » .  
ميجال : إنهما طفلتان وديعتان . . ولكن إلى أين تصحبينهما  
هذا العصر ؟

أسموند : لست أعلم على وجه التحديد .  
ميجال : إذا تصادف ولم أعد من « إيبينيه » في ساعة متأخرة  
جداً ، فإننا نستطيع أن نفعل ما فعلناه منذ خمسة عشر  
يوماً . . .

أسموند : ( متهربة ) سرى . . . لنضع هذا الأمر لوجي الساعة  
ميجال : ( وهو يتفحصها ) . . هذا جميل . . تصفيفة الشعر  
هذه تناسبك تماماً .

( صمت ) . . .

## المنظر الثاني

الأشخاص - أنفسهم - إدميه - كلود - مدام ليموان

إدميه : ( موجهة خطابها إلى ميجال الذى انتصب واقفاً )  
كلا . . . يا سيدى . . أرجوك

( ثم موجهة خطابها إلى مدام ليموان )

أمى . . أقدم لك السيد ميجال الذى يسكن فوقنا . .  
والسيد ميجال هو والد الفتاتين الصغيرتين اللتين  
التقيت بهما أمس على السلم .

مدام ليموان : سيدى . . . إننى مسرورة جداً بمعرفتكم . . .

كلود : هل لك في فنجان من القهوة ؟

ميجال : ( واقفاً ) أشكرك . . ولكنى مضطر للذهاب إلى  
إحدى الضواحي . . . وكنت أعرب للآتية أسموئند  
عن مبلغ شكرى وعرفانى بالجميل لكل ما تصنعه من  
أجل طفلتى . . فقد أقبلت ذات مساء لكى تساعدكما  
على استظهار دروسكما . . وهى تريد الآن أن  
ترافقهما للنزهة . .

إدميه : ( بي جفاء ) .. ولكن هذا ، يا سيدى ، أمر طبيعى  
ما دام لديها من الوقت ما يسمح لها بذلك ،  
ميجال : لست من هذا رأى .. لا تكلفوا أنفسكم أى عناء..  
إلى اللقاء يا سيدى العزيز .. وأنت يا سيدتى .. وأنت  
يا آنسى .. ( ينحنى أمام مدام ليموان ، ثم يغادر  
الصالون ) ..

## المنظر الثالث

### الأشخاص أنفسهم عند ميجال

مدام ليموان : هذا السيد يبدو مهذباً كل التهذيب .  
إدميه : إننا لا نعرفه على الإطلاق .  
مدام ليموان : إن نظرتة تم عن الصراحة .. وفمه مفعم بالحنان ..  
أسموند : أتريدين شيئاً من القهوة يا جدتى ؟  
مدام ليموان : قليلاً في قاع الفنجان فحسب يا عزيزتى .. إن عملك  
فرانسيس يوثبى على شرب القهوة .. هذا يكفى ..  
هذا يكفى ..  
كلود : وبهذه المناسبة ، لماذا لم يحضر فرانسيس لتناول إفطاره  
معك ؟

مدام ليموان : كان لابد له من أن يعود أحد مرضاه في ضواحي باريس ، هذا إلى أنه سيأتي لمرافقتي . ( بصوت خافت ) أعتقد أن لديه ما يريد أن يقوله لك .

إدميه : كيف ؟

مدام ليموان : قلت إنه سيأتي لمرافقتي .

إدميه : تعلمين أننا لانراه مطلقاً . ( توجه حديثها إلى كلود ) ان أخاك لم يأت أكثر من مرتين أو ثلاث مرات منذ انتهاء العطلة .

مدام ليموان : ويجب أن يقال أيضاً : إنه مشغول جداً . وقد رأيت ذلك بنفسى منذ أن أقمت هنا . . المستشفى ، والزيارات ، والمواعيد ، ومراسلاته مع الأكاديمية . . إننى أعجب كيف يحتمل هذا كله . ( محاطبة كلود ) على كل حال . . إنه مثلك ياطفل العزيز . . أوه ! نعم لست أنا الذى ألومك على القيام بكل واجبك ، وبأكثر من واجبك ، كما يقول والدك . . ولكن يبدو أن العمل في هذه الكنيسة ثقيل . . ثقيل جداً . . فهل تقوم مع هذا كله بما يكفى من التمرينات وأنت يا إدميه ، هل تحرصين على ملاحظة ذلك ؟ .

إدميه : نحن على أبداع حال .

مدام ليموان : إن الحياة في باريس متعبة في حد ذاتها ، إذا قيست بالحياة في لوزان . إن قهوتك لذيدة وينبغي أن تعطيني وصفتها كي أصنع مثلها لفرانسيس . .

إدميه : آسفة لأنني لا أستطيع أن أصف لك شيئاً . إذ لا بد من شراء البن من البقال الذي في مواجهتنا . معذرة يا والدتي ! يجب أن أبحث عن مقطوعة للمطالعة من أجل « اتحاد الفتيات » الذي أُرعاه ( تنحني أمام مكتبه منخفض ) .

مدام ليموان : ولكن . . لنعد إلى الحديث عن هذا السيد ، فهل تشغلين نفسك بانتظام بفتاتيه اللطيفتين يا أسموند ؟ إن هذا شيء لطيف من جانبك .

أسموند : إنني أكرس لهما بضع لحظات من حين إلى آخر .

مدام ليموان : وأين أمهما ؟

إدميه : ( وهي تتصفح كتاباً ) إن أمهما نزيلة أحد متشفيات الأمراض العقلية .

مدام ليموان : ياللفظاعة !

إدميه : ( مخاطبة أسموند ) — إنني أعجب بعض الشيء كيف استطعت تبديد عصر هذا اليوم ، وعيد الميلاد يوم

الأربعاء ، ويبدو أن لديك أشياء كثيرة ينبغي أن  
تقومي بها .

أسموند : الأمر على العكس من ذلك . فأنا قد انتهيت من  
أعمالي مبكرة هذا العام .

إدميه : إن هديتك التي سوف تقدمينها إلى عرابتك لم تبدئي  
العمل فيها بعد . .

مدام ليوان : إن الحزن يتتابنى كلما تصورت أنني لن أرى شجرة  
عيد الميلاد عندكم . . إذ أن هنري ولوليت يعتمدان على  
ومستلأ الحسرة قلوبهما إذا لم أحتفل معهما بالعيد . .  
من العسير جداً إرضاء الناس جميعاً . . وهذا هو  
مصدر شقاء الأسر التي تتحد فيما بينها أوثق اتحاد .

إدميه : ( إلى أسموند ) - أتذكرين قصة « يتيمة الدائرة  
الكنسية الصغيرة » ؟

أسموند : أريني .

( تواصل أسموند تقليب صفحات الكتاب ) .

مدام ليوان : أنا أذكرها . إنها قصة مشوقة . . وعلى كل حال إن  
جميع الكتب المنقولة عن الإنجليزية رائعة .

إدميه : ( وهي تضع الكتاب ) - يبدو لي أن هذا الكتاب عاطفي



أسموند : ( في مرارة ) كلا . . إن أمي لا تنسى شيئاً على الإطلاق . . إن أمي مريضة .  
( نخرج ) . .

## المنظر الرابع

الأشخاص أنفسهم عدا أسموند

مدام ليموان : الصغيرة العزيزة عصبية قليلا .  
كلود : ( مخاطباً زوجته ) . لعلها تشعر بأنها لا تظفر بما يكفي من الثقة .  
إدميه : وأنا لا أطلب أفضل من أن أوليها كل ثقتي . .  
ولكنها على الرغم من مظهرها الهادئ تبدو مندفعة ،  
وأنا ألاحظ هذا الاندفاع يوماً بعد آخر .  
كلود : إنني لأتساءل : ألسنا حين نسجل أخطاء الغير نبالغ في هذه الأخطاء ، إذا جاز لنا هذا التعبير . . الا تعتقدن ذلك يا أماء ؟  
إدميه : إذن . . . يجب على المرء أن يغمض عينيه ؟  
كلود : أنا لا أقول ذلك ، ولكن طريقتنا في معاملة الآخرين .  
إدميه : أعلم ذلك ، ولكن مثل هذه النظرية من شأنها أن تؤدي بنا إلى الإسراف . .





إدميه : إن أسموند لا تميل كثيراً إلى الأطفال عل وجه العموم . . ولا شك أن الذهاب إلى مدرسة الأحد عبء ثقيل بالنسبة إليها . . وعلى هذا الأساس يجب أن تدركى أن العطف الذى تبديه نحو هاتين الطفلتين يبعث على الدهشة إلى حد كبير .

مدام ليوان : إن أسموند تشبه والدها الذى هو العطف بعينه . وأخيراً أريد أن أقول إن وجود هذا المثل أمام عينيها دائماً لا يجعلنا نعجب إذا رأيناها تعطف على هاتين الطفلتين المسكيتين . . ثم انظري يا إدميه . . في الحياة . . . ( في شيء من الرزانة ) ينبغي أن نشعر دائماً بالثقة في غيرنا .

إدميه : أه ؟

مدام ليوان : دائماً . . ورغم كل شيء . .

إدميه : بماذا أستطيع أن أجيئك ؟

مدام ليوان : لقد رأيت حولى كثيراً من الأشياء القبيحة ، يا إدميه . . ومع ذلك : وبرغم هذه التجارب المحزنة . .

إدميه : ( بصوت متهدج ) ماذا تعنين بهذا التلميح ؟



إدميه : ( ئي لهجة غامضة ) أجل ، أجل . .  
مدام ليموان : « إن لنفسيهما نيرة واحدة » كما كان يقول زوجي  
المسكين . .

إدميه : لم أحظ بالاستماع إلى نفس ابنتي .  
مدام ليموان : ولكن إذا كان كلود يشاطرك هواجسك . . إذن  
لكان قد أنبأني بكل تأكيد .

إدميه : هل ينبئك كلود بكل شيء ؟  
مدام ليموان : بكل ما له الحق في أن يقضى به إلى .  
إدميه : ثم إنني عندما أرى هذا المجلد الصغير الذي يبعث به  
إليك كل أسبوع . .

مدام ليموان : ليس في مقدوري مطلقاً أن أعبر عن الأثر الطيب الذي  
تركته في نفسي هذه المراسلات . . لقد أعدت قراءة  
رسائل كلود القديمة منذ عهد قريب . . إن منها  
رسائل جميلة ، ومؤثرة حتى كدت أن أنسخ لك منها  
بعض الفقرات . .

إدميه : ما هو تاريخ هذه الرسائل ؟  
مدام ليموان : الأعوام الأولى من زواجك .  
إدميه : وتقولين إنها مؤثرة ؟











- مدام ليموان : يا لها من كلمة . . .
- كلود : لقد كنت قد تعهدت ألا أخبرك بشيء .
- مدام ليموان : لأنها طلبت منك ذلك . . . ولكن على أي حق لها في مثل هذا الطلب ؟
- كلود : لا يهم . . . فقد وعدت .
- مدام ليموان : تذكر ، على أية حال . . . أنها جددت بالرحيل . . . بل لعلها كانت . . . ما علينا ! إن الوعود التي نقطعها لشيخ مريض ! !
- كلود : مهما يكن من أمر ، فإنه كان يجب على منذ أن استردت إدميه صحتها ، ومنذ أن شفيتها ، أن أفضي إليها بكل شيء .
- ولا بد أنها عندئذ كانت ستفهم . . . وأنت نفسك تقولين دائماً إنه ينبغي أن يشعر المرء بالثقة . . . هذا إلى أني عندما قطعت هذا الوعد على نفسي . . . كنت على استعداد للوفاء به ، ثم حدث ذات يوم . . . ولست أدري لماذا . . . إنني لم أشعر بالوحدة كما اعتدت أن أشعر . . . فكتبت إليك بكل شيء .
- مدام ليموان : لا داعي للاعتذار .
- كلود : لقد عاملتها كما أعامل طفلة .
- مدام ليموان : ثم أخيراً يا كلود . . . منذ ذلك الوقت . . .



شيئاً . . فقد كنت وحدي تماماً . . أمام الله . وشيئاً  
فشيئاً عندما أحسست أنها استردت الثقة بنفسها . .  
ما أعجب الطريقة التي كانت تنظر بها إلى حين  
تعتقد أنني لا أنتبه إلى شيء . !

وبالذاتك النداء الأبكم في عينيها ! لقد كنت كأنما  
أساعد شيئاً على الحياة . شيئاً هشاً . . شيئاً كل ما  
فيه يضعف الأمل في بقائه . . وفي الأيام الأولى عند  
عودتي في المساء ، كنت أنتظر دائماً أن أفاجأ بأنها  
قد رحلت لتلحق به . وأنا على يقين من أنها قد فكرت  
زمناً طويلاً في أن تفعل ذلك . . وهي تعتقد أنها  
كانت . . . تفكر في ذلك . . ولكن الواقع أن قوة  
ما كانت تفصل بينها وبينه . . وذات يوم أحسست  
فجأة وعني يقين أن كل شيء قد انتهى . . وأنها لم تعد  
تفكر في ذلك . . وأنا قد كسبنا المعركة . . لا داعي  
للبيكاء . . يا أماء . . فما كان ينبغي أن أثير كل هذه  
الذكريات . .

مدام ليموان : إنها ستؤذك من جديد ، يا بني . .

كلود : كان ذلك ممكناً فيما مضى . حينما لم نكون قد تعذبنا  
أما الآن فإننا لم نعد نستطيع . فقد حمل كل منا .

- صليب الآخر . : وكلانا قد نرقت دماؤه من أجل الآخر . . . فنحن . . . كأنما ازددنا ثراء . . وأصبحنا أفضل . . نعم . . أفضل . . .
- مدام ليموان : آه . . إنك تعبر عن هذا كله تعبيراً رائعاً . . (تجفف عينيها) . . .
- كلود : الجرس يلدق دقتين . . لا بد أنه فرانسيس . . أرجو المعلقة . . فقد خرجت الخادمة، ولا بد من أن أفتح الباب بنفسى (يخرج) .
- مدام ليموان : (تتأجج نفسها وحدها) إنه طيب . . وكريم جداً . . (تهز رأسها هزة تعبر عن الأسى) .

## المنظر العاشر

### الأشخاص أنفسهم - فرانسيس

- كلود : كان يجب عليك يا عزيزى أن تتناول معنا طعام الغداء
- فرانسيس : كان على أن أعود مريضاً في «جوى أن جوزا» ولم أعد . إلا في الساعة الثانية بعد الظهر .
- مدام ليموان : ومتى تناولت غداءك ؟
- فرانسيس : منذ نصف ساعة في «مشرب أتوماتيك» . (موجهاً



- كلود : أه ! ( تصدر حركة عن مدام ليموان )
- فرانيس : لقد حضر ميشيل ساندييه لا ستشارتي منذ عهد قريب .
- مدام ليموان : هذا غريب ! .
- فرانيس : ليس في هذا ما يدعو إلى الغرابة ، فهو يعلم عن طريق المجلات الطبية ، التي يبدو أنه يثابر على قراءتها ، أن أبحاثي تتعلق — على وجه الخصوص — بداء خطير ، هو مصاب به حالياً .
- كلود : إذن ، فالأمر يتعلق بداء . . .
- فرانيس : ( بصوت خافت ) نعم . . داء لاعلاج له في الظروف الحاضرة ( بصوت مرتفع ) ولكن . . . هناك سبب آخر دفعه إلى زيارتي . . أنا بالذات . .
- مدام ليموان : أه !
- فرانيس : أمي . . إنك ترين جيداً أن كلود هادئ الأعصاب .
- مدام ليموان : إن هدوء أعصابه يتجاوز كل حد . . . أما أنا فيكفيني أن أسمع اسم هذا التعس لكى . . .
- فرانيس : لم يبق أمام ميشيل ساندييه في الحياة غير وقت قصير . . وهو يعلم أنه ضائع . . وينبغي أن أقول إنه يواجه موقفه في صفاء وهدوء ؛ أثارا بالغ دهشتي . .



فرانسييس : لقد سألتني في بساطة عما إذا كانت زوج أخى هى الأخرى ، على مايرام . وكان من الصعب عليه أن يمضى إلى أبعد من ذلك . أولاً : لأنه لم يكن لديه من الأسباب ما يحمله على الاعتقاد بأنى أعرف الماضى بأية صورة من الصور . . . فكنت أرى هذا البائس يناضل مع الأسئلة التى تضطرب في صدره ولا تجد مخرجاً . . . وينبغى ألا يوجه إلى اللوم . إذا كنت قد نصبت له الشرك .

مديام ليموان : ولكن ماهذا يا فرانسييس ! . .

فرانسييس : قلت له في بساطة : ولكن هذا صحيح . . إذ يبدو أنى التقيت بك ذات مرة في « سان لودى تالفاس » — عندما كان أخى قسيساً هناك — ولم أزد على ذلك شيئاً ، ولا شك أنه من أعجب الأشياء تلك القوة الكامنة في اسم من الأسماء . . فقد شحب لونه ، واستولى عليه الوجوم وغض من بصره هكذا ، ثم قال : نعم . . كان لي منزل في « سان لو » . وتظاهرت أنا بأنى تذكرت فجأة وقلت : هذا هو . . أجل . . هذا صحيح . . لقد تذكرت الآن ذلك المنزل الكبير الذى يشرف على القرية أما زالت تملكه ؟ فأجاب .





- مدام ليموان : ولن يمنعني أحد من إبداء رأيي .
- فرانسييس : هذا أمر لا معنى له .
- مدام ليموان : رأيي القاطع . . .
- فرانسييس : إن أحداً لا يستطيع أن يضع نفسه في مكانه . .
- مدام ليموان : أمه تستطيع ذلك . أيريد أن يرى ابنته ؟ لا أظن أنه يزعم لنفسه الحق في أن يكشف لصغيرتنا العزيزة . .
- كلود : إنه يستطيع أن يرى أسموند هنا باعتباره شخصاً عادياً جاء لزيارتنا .
- مدام ليموان : ليس لك أن تسمح لهذا الشخص بالدخول في هذا المكان . . هذه فضيحة . . هذا عمل غير أخلاقي . وأخيراً ، يا فرانسييس .
- فرانسييس : أنا لم أقل شيئاً .
- كلود : لقد عفوت يا أمي .
- مدام ليموان : لعلك عفوت عنها . .
- كلود : أجل . . عنها . . بكل تأكيد .
- مدام ليموان : ولكنك لم تعف عنه .
- كلود : هذا معناه أن الحياة لم ترغبني بعد على أن أطلب له هذا الصفح من نفسي .

- مدام ليموان : لو لم تسنح له الفرصة لأن يكون مريضاً . . . . .
- فرانسييس : لك الله يا أماه !
- مدام ليموان : وهل تعتقد أنه سيقنع في تلك الزيارة بروية. أسموند؟  
يعلم الله أى ادعاء سيدعيه عقب ذلك .
- كلود : إنها محنة تعرض لى ، ويجب على أن أحيها يوماً  
لأثر يوم .
- فرانسييس : إلى هنا ولن أتبعك . . يا عزيزى فمهما يكن من شيء ،  
لا يصح للمرء أن يستسلم للدوامة . . بل يجب أن  
أن تحتفظ بحريتك في التصرف كاملة . .
- كلود : أنصت إلى . . إننى لا أحتمل الاستمرار في مناقشة  
هذا الموضوع دون علم « إدميه » .
- فرانسييس : ومع ذلك فمن الطيش أشد الطيش أن تطلعها على  
جلية الأمر . . أه . . فكر قليلاً . . يا صغيرى . .  
إنك تجاوزت بأن تقلب كيانها بنضرة خطيرة . . إنها  
حالة أعتقد أنك تستطيع وحدها أن تتخذ فيها  
قرارك .
- كلود : لست من هذا الرأى . . . . .
- فرانسييس : افهمنى جيداً . . . . . إننى لا أخشى لحظة من أن وجودها  
في حضرة هذا البائس قد يشعرها بظل مما لا أدرى . .









فرانسييس : ( ناهضاً ) أنا في خدمتك . . . ألا تأتيين يا أماء ؟  
إدمينه : أتفادرتا بهذه السرعة ؟  
مدام لييموان : متى سنلتقى ؟  
فرانسييس : تعالوا للعشاء عندي يوماً ما . .  
مدام لييموان : ولكن ألا تخشى أن تكون أوجيني . . ؟  
لأنها لا تبدو الآن على ما يرام . . . وحضور ثلاثة  
من الضيوف . . .  
( يتلاشى الصوت . . يرافقهما كلود وإدميه ثم  
لا يلبثان أن يعودا ) .

## المنظر الثاني عشر

كلود - إدميه

كلود : يسرني أنك عدت مبكرة . .  
إدميه : اصنع إلى لحظة يا كلود .  
كلود : ( شاخصاً إليها ) - أجل . . . إنني أعلم .  
إدميه : فيما يخص والدتك ؟  
كلود : نعم . . .



- إدميه : أجل : في تلك اللحظة .. ولكن لا داعي للجدال ..  
وأكرر لك أنني أفهم موقفك ، أو على أية حال ..
- كلود : اتصفحني غنى ؟
- إدميه : لا تسحر مني يا كلود
- كلود : لقد كنت أقول لأمي منذ لحظة . . .
- إدميه : اكنتم تتحدثون عن ذلك أنتم الثلاثة حينما دخلت ؟  
هيا ، إنني أفضل ألا تجيب على . . . إذن لقد كان  
يعلم هو الآخر ، بطبيعة الحال . ( صمت . )  
تقلص أصابعها ) .
- كلود : عندما تلوميني على أنني قد أسأت استغلال هذا  
النوع من التعالي المزعوم .
- إدميه : أنا لا ألومك على شيء . . . إن جوهر . أي موقف  
من المواقف يبقى على ما هو عليه ( تضغط على  
الكلمة ) لقد « صفحت » غنى رغم كل شيء . .
- كلود : يا حبيبتى . إنك تعلمين معنى هذه الكلمة في نظري ..  
وقد شرحت لك . . .
- إدميه : نعم . لقد شرحت الى أشياء كثيرة . . .
- كلود : يا التائب الضمير الذى تشعرينى به ! فغير هذه  
الكذبة .

إدميه : هناك سؤال واحد أريد أن أوجهه إليك . . إن أملك  
 قد أشارت أمامي منذ لحظة إلى أزمة ضمير اجتزتها  
 في فترة معينة . . ولا أريد أن أعلم ذلك لأعاتبك على  
 أنك لم تضع ثقتك في . . وإنما أريد أن أعرف  
 التاريخ فحسب .

كلود : كيف ؟  
 إدميه : في أية فترة عانيت تلك الأزمة ؟  
 كلود : هذا شيء لا يمكن تأريخه كما نؤرخ مرضاً جسدياً .  
 إدميه : لماذا يبدو عليك الارتباك ؟  
 كلود : كلا على الإطلاق . . لابد أن يكون ذلك في سنة  
 ١٩٢٧ .

إدميه : أي في فترة لم يكن قد راودك فيها أي شك بعد ؟  
 كلود : نعم .  
 إدميه : وتبددت هواجسك عقب ذلك مباشرة ؟  
 كلود : ولكن . . تفهمين جيداً أن ذلك لم يكن أمر يوم أو  
 شهر . . . لقد كان أشبه بتحول بطيء لذاتي . . بنوع  
 من التفتح .

إدميه : ألم ينفعل وجودي بشيء ؟  
 كلود : كيف ؟  
 إدميه : أنا . . وما فعلته ضدك ؟ . . خيانتى لك ؟ هل هي





- إدميه : فهماً غامضاً .
- كلود : وعندئذ حدثت تلك . . ( يشير بيديه ) .
- إدميه : . . . تلك المحنة .
- كلود : وفي هذه المرة كان الفراغ المطلق حقاً . . كنت وحدي تماماً . . فقدت زوجتي وطفلي في وقت واحد . . ونخيل إلى أنني لن أستطيع المقاومة . . هذا حق . . وأنت تعلمين ذلك . . ثم أخذ النور يظهر رويداً رويداً . . .
- إدميه : بطبيعة الحال !
- كلود : ماذا ؟ .
- إدميه : كل ما أذكره إنه ليست هناك طريقتان للحديث عن هذه الأمور .
- كلود : إن ما حدث عندئذ كان له معنى . . كان أشبه ببناء نفذ إلى أعماق نفسي . وكان ينبغي على أن أفهمه .
- إدميه : لقد كان الله هو الذي يتكلمك .
- كلود : لقد رُضِيت لأول مرة وجها لوجه أما نفسي . . وكنت على وشك أن أكتشفت بمن يتعلق أمري . .



- أسموند : لقد عادت فيليسي .. والسماء تمطر .. وكانت  
الفتاتان متعبتين .. واكتفينا بهذه الزهرة .
- إدميه : وماذا ستفعلين الآن ؟ ..
- أسموند : جئت أبحث عن كتاب لأطالع لهما فيه قليلا .
- إدميه : لا تنسى موعد ميلموازيل « نجائى » في الساعة  
الخامسة ، يا أسموند .
- أسموند : ( بعصية ) ماذا هناك يا أماه ؟
- إدميه : ألا تعتقدين أنه من الممكن الإيحاء إلى هذا السيد  
باستخدام مربية ؟
- أسموند : وأخيراً ، يا أمى ...
- إدميه : إنك تظهرين في هذه الناحية تساهلاً ليس من طبعك .
- أسموند : أبى .. إننى أرتضيك حكماً ..
- إدميه : هاتان الطفلتان لا تتميزان بأى ميزة ، وقد قلت ذلك  
أنت نفسك ..
- أسموند : إنهما لطيفتان جداً .
- إدميه : لقد قررت أن أكتب إلى السيد « ميجال » بأن  
مشاغلنا لا تسمح لك بتكريس وقتك لطفليته ..

أسموند : : سيكون ذلك كذباً .  
إدميه : : بل سيكون الصادق عينه .  
أسموند : : أبى . . أريد أن تسمعنى هذا المساء خمس دقائق . .  
خمس دقائق فحسب . . أليس كذلك ؟ ( يخرج ) .

## المنظر الرابع عشر

### كلود - إدميه

كلود : لست في حالتي الطبيعية على الإطلاق .  
إدميه : ومع ذلك ينبغي أن يرى المرء في وضوح ( صمت ) .  
كلود : ( في صوت متردد ) عندي شيء آخر أريد أن أقوله  
لك يتعلق بما جاء فرنسيس لكي ينبثني به منذ لحظة  
إدميه : حسن :  
كلود : ( وكأنما يخاطب نفسه ) يا إلهي ! ربما كان هو على  
حق . . ولكنني لا أستطيع .  
إدميه : إنه أمر خطير إذن ؟  
كلود : إنه أمر يبعث على القلق .  
إدميه : ( تقترب منه في حنان ) ما هو ؟  
كلود : أه . إنني في حاجة إلى حنانك .  
إدميه : ( في مرارة ) . . لو كنت على ثقة من ذلك . .  
كلود : حسن . . لقد ذهب لاستشارة فرانسيس . . إنه مريض جداً





## الفصل الثاني

( مساء ذلك اليوم نفسه . حجرة مكتب كلود . .  
وهي حجرة مستطيلة ضيقة ذات رفوف عالية للمكتب  
ملبثة بالمجلدات الضخمة . . في الوسط مائدة مغطاة  
بالأوراق . . وقد وضع عليها « مصباح بترول » .  
الساعة الثامنة . كلود جالس يقرأ . . دقائق على  
الباب ) . . .

### المنظر الاول

كلود - أسموند

كلود : من هناك ؟  
أسموند : ( وراء الكواليس ) - إنه أنا . . يا أبي .  
كلود : ادخلي . . يا صغيرتي ( أسموند تدخل من الجهة  
اليسرى للمسرح ) حسن . ما هذا ؟ ماذا هناك ؟  
ألا تعتقدين أولاً أنه مما قد يجرح أملك أن تطلي  
الحديث معي على انفراد ؟ ( حركة من أسموند )  
لو أنني طلبت إليها الحضور أيضاً ، فماذا تقولين ؟

- أسموند : في هذه الحالة سأنسحب أنا .
- كلود : أسموند !
- أسموند : لقد جئت إليك بخصوص أمي بالذات . . أمي وأنا . .  
وحيث، فلعلك قد فهمت، يا أبي. إنني لست سعيدة
- كلود : . . عزيزتي
- أسموند : . . أوه . . إنني لست سعيدة على الإطلاق . لقد قلت  
ذات يوم في إحدى الصلوات ، إن السعادة تكمن  
في أعماق نفوسنا . .
- كلود : أنت تعلمين جيداً أن هذا حق .
- أسموند : أما بالنسبة إلى أنا، فليس ذلك حقاً على كل حال . .  
يبدو أن نفسي لا تنطوي إلا على كل ما يملئني أتعذب .  
وإذا كان فيها شيء آخر ، فلا بد أن يكون مختفياً إلى  
درجة . . أوه ! . إن أمي تعلم جيداً أنني لست  
سعيدة ، وأعتقد أنها لا تحبني .
- كلود : ولكن ما هذا الذي تقولين . . ؟ أهناك سبب خاص ؟
- أسموند : بل الأخرى أن الأسباب كلها تحمل على ذلك .  
أرجو عفوكم . . فأنا أوئلك في هذه اللحظة .
- كلود : عزيزتي . . يجب أن تصارحيني بكل شيء . . ولماذا







- أسموند : إنك تعلم . . إنه بدون الغرور . . .
- كلود : أن يتلاءم الإنسان مع قوانين الحياة ، وأن يجعلها قوانينه الخاصة ، وأن يريد لها بدوره . .
- أسموند : هذه مجرد كلمة . . فسواء أردنا أو لم نرد . .
- كلود : إنها ليست كلمة يا عزيزتي ، إنها حقيقة كبرى أن نأخذ لكي نعطي .
- أسموند : ماذا نأخذ ؟ وماذا نعطي ؟ ثم وعلى التحديد ، ما فائدة أن نأخذ لنعطي للآخرين ما يعطونه الآخرون بدورهم ؟ ما فائدة هذا كله ؟ هذا السباق المتصل في عالم من الضباب ؟
- كلود : ( يجرها نحوه ) : مهما يكن من شيء فإن هذا الاضطراب يدل على أنك في قرارة نفسك . . .
- أسموند : إنه إذا كانت المسألة تتعلق بشخص مثلي ، فينبغي له أن يجد سنداً في إيمان الآخرين . . . وقد اعتمدت على إيمانك حتى هذه اللحظة . . إيمانك أنت . . ولكن حينما يشتد القلق بالإنسان ، فإن مثل هذا الإيمان لا يكفي . وفي هذه اللحظة . . .
- كلود : إذن فأنت لديك ما يحزنك ؟

- أسموند : إنه ليس حزنا .
- كلود : قلق ؟
- أسموند : بالأحرى .
- كلود : ( يخرج ساعته في حركة آلية ) .. ألا تريدان أن  
تخبرينى ؟
- أسموند : أنظرت في ساعتك ؟
- كلود : أنت تعلمين جيداً أننى مضطر إلى الخروج بعد قليل .
- أسموند : ( في حيرة : إنك مرتبط بواجبات كثيرة يا أبي ..  
وأن يشعر المرء أنه مجرد رقم بين الفتاة الأم التى  
تقطن شارع « الوست » والمرأة المشلولة التى تسكن  
شارع « المين » .. إذا كنت تعتقد أن هذا يجعل من  
اليسير تبادل الخواطر .. ثم لعلك تتلقى من خواطر  
الناس جميعاً أكثر مما ينبغى .. إنها مهنتك تقريباً ..  
وهذا ما يجعل البرودة تمشى في أوصالى بعض الشيء
- كلود : ولكنك تعلمين يا عزيزتى ، أن الأمر هنا يختلف  
كل الاختلاف .
- أسموند : نعم ، فأنا حالة تختلف عن سائر الحالات .
- كلود : إنك تتحدثين كأملك .
- أسموند : أوه .. أترى ذلك ؟

كلود : نعم ، هذا إلى أنها لما كانت في سنك . .

أسموند : حسن ، فليس هذا مما يسعدني . .

ولكني أعترف لك بأن فكرة الزواج من شخص  
مثلك . . شخص له روح مثل روحك . . هذه  
الفكرة تخيفني . . ولو أنني تزوجت شخصاً تافهاً ،  
لكان هذا أسوأ . إن الحياة مروعة .

كلود : ولكن هذا القلق ، يعزيتني . .

أسموند : إنني أعلم كل ما ستقوله لي . . فقد سبق أن أقيت  
موعظة عن هذا الموضوع في الشهر الماضي .

## المنظر الثاني

الأشخاص أنفسهم - آدميه

إدميه : لقد دق الجرس يا أسموند ، وأنت تعلمين أن فيليسي  
قد خرجت .

أسموند : في هذه الساعة ؟ من يكون هذا ؟  
( تخرج . صمت ) .

إدميه : هل ستخرج هذا المساء ؟

كلود : نعم . . . ولكن الوقت لم يحن بعد . . إن فورتسمير لا يعود إلى منزله إلا في الساعة العاشرة .

إدميه : إن فكرة استدعائك في مثل هذه الساعة . . .

كلود : إنه هو الآخر لا يعطى نفسه أى راحة .

إدميه : وفضلاً عن ذلك . . فإن ما تقدمه هذه المناقشة من قلة الجدوى . . .

كلود : أيا ما كان فإن في هذا كله فكرة عظيمة .

إدميه : هذا الاندماج للكنائس . . إنها بالأحرى كلمات ضخمة . . مسألة اندماج الكنائس تلك . . على أية حال إنك في قرارة نفسك لا تؤمن بذلك أكثر منى .

كلود : إننا ، إذاً لن نؤمن بذلك ، فلن ينم شيء .

أسموند : ( عائدة ) إنها أوجيني تحمل رسالة من عمى فرانسيس إليك يا أبى .

إدميه : خذ .

كلود : أينتظر رداً ؟

أسموند : إن أوجيني لا تعلم شيئاً عن ذلك ، وهى غاضبة لتكليفها بعمل ما يوم الأحد . ( كلود يفتح الخطاب ،

وتقرأ إدميه من فوق كتفه . . ثم تثب وثبة عنيفة ( ماذا حدث يا أمي ؟

إدميه : هذا محال .

كلود : أسموند . قولي لأوجيني إنه لارد هناك ؟

( تخرج أسموند )

إدميه : إننا لا نستطيع أن نقدم على هذه المجازفة . . قل للبواب إنك خرجت أو إنني مريضة أو ما شئت . . ولكنه إذا أتى . . فلا يصح له أن يصعد إلى هنا . .

كلود : هذا محال ؟ أتريدني أن أكذب ؟

إدميه : إنك تكذب على زوجتك ، لا على البواب . . ثم مادمت ستخرج حقاً . . كلود . . إنه شخص مريض .

كلود : تماماً . .

إدميه : ثم إنك ترى جيداً أنه قد رجع مرة أخرى إلى أخيك . . إنها فكرة متسلطة عليه . . إنه مجنون . . . . .  
إني أعترض على دخوله هنا .

كلود : يا عزيزتي . . شيء من الهدوء . .

إدميه : فوق كل هذا ! . . كلود ، إننا نمشي على رؤوسنا

فلو تأتني لي أن أوافق أنا على استقبال هذا الرجل ،  
لكان من واجبك أن تعترض على ذلك ( إلى أسموند  
التي تعود في هذه اللحظة ) دعينا لحظة يا صغيرتي .

- أسموند : أكتما نتحدثان عني ؟  
إدميه : كلا ، إن الأمر لا يتعلق بك .  
أسموند : أبي . . أتراك كنت تعيد على مسامعها ما قلته لك ؟  
إدميه : ما هذه الأسرار أيضاً ؟  
كلود : ( مخاطباً أسموند ) كان حديثنا يدور عن الخطاب  
الذي تلقيته منذ لحظة .  
إدميه : لست مضطراً إلى تبرير ذلك .  
أسموند : يبدو عليكما الاضطراب .  
كلود : كلا . . قليلاً . . نحن مرتبكان ، فأنا وأملك لسنا  
على وفاق تماماً . .  
( تنظر إليهما أسموند في ارتياب ثم تخرج متباطئة )  
إدميه : أسمعني . . . إنني أعارض في دخول هذا الشخص  
هنا . . .  
كلود : إنني أنتظر حتى تثوبني إلى الهلوع .

إدميه : أنت ، كلما فكرت في أنى لم أرك غاضباً قط !  
( تقع فريسة لرعدة عصبية )

أتعتقد أنى لا أتكهن بما يدور في رأسك هذه اللحظة . . إنك تحتقرنى ، لأننى مرتبكة . .

كلود : ( بصوت منخفض ) عزيزتى . . لقد حملت صليبك معك . .

إدميه : كلود . إنك زوجى . . ولست قسيماً .

كلود : ( بنفس اللهجة ) إن ما حدث لنا قد أراده الله . .  
إن هذا لا يمكن أن يكون مجرد حادث عرضى . .  
إدميه . . إن هذه المحنة . .

إدميه : دائماً هذه الكلمة المروعة .

كلود : يجب أن نحياها في إيمان المسيحيين .

إدميه : إنك لا تستطيع أن نحياها كإنسان .

كلود : ( بصوت خافت ) ألا تريد أن تصلى معى ؟

إدميه : ( بلهجة توسل ) . . دعهم يقولون إنك لست هنا . . أسموند ! ( تخرج ويبقى كلود وحيداً ، ويحاول أن يركز نفسه في تأمل صامت ، تتشابك يده . صمت طويل . . تعود إدميه ) لست أدرى

أين ذهبت . . . أذا نازلة . . (كلود لا يجيب)  
كلود ! ولكن لماذا ؟ . . أكل هذا من أجله ، أم  
من أجلنا ؟

كلود : إننا إذا تقيقرنا أمام هذا اللقاء . . فإن ذلك يثبت . .  
لست أدري . . يثبت أن الماضي لم يمِث ، وإننا لم  
نستطع الانتصار عليه . . وهذا جبن . . هذا عمل  
لايجدر بك . . فلنر . . مم تخافين ؟

إدميه : من كل شيء .

كلود : قال أحد الأشخاص : «إن الخوف ، علامة الواجب .

إدميه : يا إلهي ! . . إنك تفكر . . . وتضرب الأمثال .

الواجب ! ومادخل الواجب هنا ؟ آه . . اسمع .

ألا تكون تلك مسرحية هزلية تلعبها على نفسك . .

نوعاً من التمثيل !

كلود : مسرحية هزلية ؟

إدميه : دون أن تشعر .

كلود : هذا ما وصلت إليه حالنا .

( يسمع صوت أسموند خارج المسرح وهي تقول :

« ولكن تفضل بالدخول ياسيدي . . فوالدي موجود  
وسأخبره » .

أسموند : ( داخلة ) أبي ، هناك سيد يريد أن يراك .

( يعلو الشحوب وجه كلود )

إدميه : ( عيناها ثابتتان على كلود ) وما اسم هذا السيد ؟ .

أسموند : السيد ساندييه .

إدميه : أين كنت الآن ، من فضلك ؟

أسموند : كنت أحيي الطفلتين اللتين فوقنا تحية المساء .

إدميه : حسناً . . ثم . .

أسموند : وكان هذا السيد يصعد السلم حين نزولي . . وكنت

قد أخذت المفتاح ، فدخلت معي .

إدميه : إذن يا كلود ، أنتقبل هذا السيد ؟

( حركة غامضة من كلود )

أسموند : ( مخاطبة كلود ) ولكن ماذا بك ؟

إدميه : إن أباك ليس على ما يرام تماماً .

أسموند : ( تتجه صوب كلود ، ثم تقول في رقة )

« ماذا حدث ؟ »

كلود : نوع من الدوار .

أسموند : سأقول لهذا السيد إنك لاتستطيع استقباله .

( صمت )

إدميه : ( وكأنما نتحدث رغماً عنها ) . . . كلا . . .

فايدخل . . . إنه شخص كنا نعرفه منذ أمد بعيد .

أنا وأبوك . ( تخرج أسموند ، ونسمعها تقول :

سيدى . . . تفضل بالدخول من هنا )

## المنظر الثالث

### الأشخاص أنفسهم - ميشيل

( ميشيل ساندييه رجل في الخامسة والأربعين أو في

الخمسين من عمره ، طويل القامة ، ولكنه منحنى

الظهر قليلا ، . وجهه غائر من المرض بصورة

شنيعة )

ميشيل : ( منحنياً ) سيدتى . . . سيدى . . . يوسفنى أن

أزورك في مثل هذه الساعة .

كلود : لقد أخطرتى أخى بأننا قد نتشرف برويتك هذا

المساء . . . من تحصيل الحاصل ، بالطبع ، أن نقدم

لاك ابتنا ! أليس كذلك ؟ فقد تم التعارف بينكما  
من تلقاء نفسه .

ميشيل : ( يلتفت ناحية أسموند ) الواقع أن هذه الأنسة  
هى التى . . .

كلود : أظننى فهمت أنك مار بباريس مجرد مرور . .

ميشيل : نعم . ومن الممكن أن أرحل غداً .

إدميه : ( فى جهد ) وأنت هنا منذ . .

ميشيل : منذ أسبوع . . ولكننى لا أحتمل باريس لأننى لا  
لا أتنفس فيها ( صمت ) . .

كلود : لقد وجدت أنا نفسى كثيراً من العناء  
حتى تعودت عليها .

ميشيل : ومع ذلك فأنك لم تأت من « الأردش » إلى هنا  
مباشرة ؟

كلود : كلا . . فقد عينت أولاً فى أبرشييه فى . الشمال فى  
« اسكرشان » بالقرب من « ليل »

ميشيل : لا بد أنها كانت جحيماً .

كلود : أبدأ . . فقد تركت تلك الأعوام فى نفوسنا ذكريات  
جميلة . . أليس كذلك يا إدميه ؟

إدميه : إن كل شئ يتوقف على . .

- ميشيل : أظن أن السيد ليموان لا يعنى طبيعة الإقليم .
- كلود : ومع ذلك فإن تلك المناظر الواسعة الحزينة لا تخلو من عظمة .
- ميشيل : أما أنا فإني عندما أمر عليها بالقطار ، أغلق النافذة . .
- كلود : إن سكان تلك المنطقة أهل مودة .
- ميشيل : آه ؟
- كلود : لقد شهدت أنا وزوجتي مناظر مؤثرة جداً . .
- وإن رواية « الناس المساكين »
- لفكتور هيجو . .
- ميشيل : إننا معارف قدماء ياآنسة أسموند . دون أن تعرفي . لقد رأيتك عندما كنت صغيرة جداً ، في الوقت الذى كنت أسكن فيه « بسان لودى تالفاس » منزلاً كبيراً يشرف على الوادى ، وكنت أتردد كثيراً على والديك ، وهأنذا أتخيلك كما كنت في تلك اللحظة . وقد مررتُ على « سان لو » مرة أخرى منذ شهر :
- كلود : أظن أنه لم يحدث فيها تغيير كبير منذ كنا هناك .
- ميشيل : لقد شيدوا مصنعاً صغيراً لقطع الأخشاب شوه



- إدميه : طبعاً .
- أسموند : الحق أننا لا نستطيع أن نحكم على مكان ما إلا بمرور الزمن . . . . . وحينما أفكر في فونقيل . أوكد لك أنني لا أشعر بأى حماس . . .
- ميشيل : هذا صحيح ، الذكرى وحدها هي الصادقة ، إنها هي أنفسنا .
- كلود : لقد ارتبطنا هناك بصلات لطيفة . . . ثم هناك البحر . . البحر . . أنا مندهش تماماً مما تقولين .
- إدميه : إنك طيب القلب حقاً إذا كنت تأخذ هذه السخافات مأخذ الجدد .
- ميشيل : نخذ الموسيقى مثلاً . . إنها أشبه بذلك . فالأثر الفوري الذي تتركه يكاد يكون دائماً مضللاً .
- كلود : أما هنا . . فأعترض .
- ميشيل : أتكون الآنسة أسموند . . . . . ؟
- أسموند : إنني أحب الموسيقى حباً شديداً . . . غير أن فرصة الاستماع إليها لا تتاح لي إلا نادراً .
- ميشيل : ألا تعزفين على إحدى الآلات ؟ إنني أذكر أن السيدة والدتك . . . .

- إدميه : لقد هجرت كل ذلك منذ عشرين عاماً .
- ميشيل : لقد كان عندكم على ما أذكر بيانو ممتاز من صنع محل إيرار .
- إدميه : لقد تبرعنا به .
- ميشيل : إن البيانو في مثل هذه الحياة المليئة المستغرقة التي تحيونها يعد من المغريات .
- إدميه : حتى لو كنا قد احتفظنا به ، لما وجدنا له محلاً في اسكيرشان .
- ميشيل : خسارة ! . ( صمت ) حينما مررت « بسان لودي تلقاس » التقطت صورة أو صورتين ( مخاطباً أسموند ) ربما أمتعك شيء من هذا القبيل يا آنسة ، فلا بد أنك سمعت الناس يتحدثون كثيراً عن هذا الركن الصغير .
- ( يناول أسموند صورتين أو ثلاثاً )
- أسموند : ( تنظر إلى الصور ) إنها ممتازة ، هذه الصور .
- ميشيل : الآلة التي التقطناها بها صغيرة لا بأس بها .
- أسموند : انظر يا أبي ! ( كلود ينظر من فوق كتفها ) .



أننى أخبرت في وقت مبكر .

( يحس الجميع بارتباكهم )

ميشيل : ( واقفاً ) ربما استطعنا أن نحدد موعداً آخر ..

كلود : ولكنك سترحل غداً ؟

ميشيل : لم أقرر ذلك بعد .

كلود : إذن ... تستطيع أن تتفق على ذلك مع زوجتى ..  
إلى اللقاء .. وأرجو المَعذرة إذا تركتك على هذه  
الصورة ..

## المنظر الرابع

ميشيل - إدميه - أسموند

ميشيل : أرى أن السيد ليموان مشغول إلى أقصى حد .

أسموند : إن لآني ضميراً مرهفاً إلى أقصى حد .. ( تمد يدها  
إلى ميشيل ) طاب مساؤك يا سيدى .

ميشيل : إلى اللقاء يا آنسى .. إننى سعيد جداً بتجديد تعارفنا  
( تخرج أسموند .. يتابعها ميشيل بنظراته .. فترة  
سكون )

إدميه : ( في صوت منخفض ) لماذا فعلت ذلك ؟ ( حركة

غامضة من ميشيل ) لو كان الأمر بيدي وحدي ، لما  
استقبلناك .

ميشيل : أه !

إدميه : والآن . . أتوسل إليك أن ترحل .

ميشيل : لماذا ؟

إدميه : أولاً بسبب الفتاة . . ثم . . إنني لا أستطيع أن أراك .

ميشيل : أذلك لأنني لم أغير كثيراً ؟ أم على العكس ؟ . .  
بالطبع أنت تعلمين حالتي . . وفضلاً عن ذلك ، فأظن  
أنه ما كان ليطبق . . ولكن إذا تدبرنا الوضع الذي  
أصبحت عليه الأمور الآن ، رأينا أن ذلك يكاد  
يكون واجباً من واجبات مهنته . .

إدميه : أه ! اسكت .

ميشيل : لا شك أن زوجك في غاية الأناقة من جميع الوجوه  
إنه يمثل مهنته أصدق تمثيل . . أنت تقولين إنك  
لا تستطيعين رؤيتي . . حسن . . أما أنا ، فأمرى  
غريب ، ذلك أنني لم أتأثر مطلقاً بوجودي بجانبك من  
جديد . أقول مطلقاً ، ونستطيع جميعاً أن نقول  
ما نشاء ، ولكن هناك أجزاء من نفوسنا كأنها جلد

ميت ، ونستطيع أن نقص منها ما نشاء دون أن نترف  
منها الدماء . . وقد وقعت لي أخيراً تجربة غريبة ،  
فعندما فتحت الصحيفة طالعت هذه العبارة : نعلن  
خبر وفاة مدام كلود ليموان . . اسم شبيه باسمك . .  
حسن . . فماذا كان مني . . لا أستطيع أن أقول . .  
لقد كان ذلك أمراً بعيداً . . وكأنه لم يحدث لنا .

إدميه : ( مصوبة عينيها ) هذا مريح .

ميشيل : أفترض أننا نموت كلا واحداً ، ولكتنا نجيا قطعة  
قطعة .

إدميه : ( في مرارة ) — ربما كان ذلك حقاً بالنسبة للرجال . .  
ولكنني ما زلت أنا نفسي دون تغيير .

ميشيل : أعتقدين ذلك ؟

إدميه : ما زلت نفسي تماماً .

ميشيل : وهذا يعني ؟

إدميه : أوه . لا تستتج منه شيئاً . . أنا أفترض أنني لم أحب  
أحداً على الإطلاق .

ميشيل : لقد وصلت أنا نفسي إلى هذه النتيجة منذ زمن بعيد . .

























- كلود : وهل بقيت أسمونند طوال الوقت ؟
- إدميه : كلا .
- كلود : أعتقد أنني لو تنبأت بما سيكون عليه الأمر . .
- إدميه : رأيت . . إنني كنت على صواب .
- كلود : كلا . . فإن ذلك كان يعد جبناً . ولكنّه حينما تحدثت عن « سان لو » . . . ثم ، لست أخرى . . هذه اللهجة الساخرة التي يشوبها الامتعاض من كل شيء .
- إدميه : إنه مريض جداً .
- كلود : نعم . . وكنت مضطراً أن أردد في نفسي طول الوقت أنه شخص بائس .
- إدميه : حقاً ؟
- كلود : ولو لم أفعل ذلك ، لقلت له أن يخرج . فإن طريقته في النظر إلى الفتاة . . ألا حظت ذلك ؟ . إن هذا بالذات هو ما لم أستطع احتماله .
- إدميه : آه ؟ حسن . . لقد فهمت .
- كلود : وعندما دخل . . ومد إليك يده ، أحسست في بداية الأمر كأنه شبح .

- إدميه : أجل .
- كلود : ولكنه بعد ذلك ، حينما نظر إلى الفتاة ، تمشت الحياة في وجهه .. وكان ذلك أسوأ وقعاً على نفسه .
- إدميه : ( تذهب إلى الباب ) نعم ! أسموند !
- أسموند : ( خارج المسرح ) — إن الماء لم يغل بعد .
- إدميه : ( مخاطبة كلود ) أيمكن أن نضع شيئاً من الخمر في قدح الشاي ؟ كلا ؟
- كلود : لاداعي لذلك .
- إدميه : ( في سخرية ) لقد نسيت أنك قد وقعت ذلك التعهد إياه .
- كلود : ألا تستطيعين أن تقصّي على شيئاً مما قاله لك . هذا إذا كان ذلك يؤلمك ، بالطبع ؟
- إدميه : ( في حدة ) — كن بطراً عسير الإرضاء ، كن سيئ الظن ، كن ضيق الأفق ، فأني أفضل ذلك .
- كلود : ماذا تقصدين ؟
- ( تدخل أسموند حاملة قدح الشاي ، وتضعه على المكتب ) .
- أسموند : لقد وضعت لك قطعة واحدة من السكر .. والآن







- كلود : والباقي لم يكن له اعتبار .
- إدميه : سلطانك على النفوس ؟ دعنا من ذلك ، إنك لست عادلا في هذه اللحظة . . فإن الفضيحة الناجمة من وقوع الانفصال بيننا . .
- كلود : لم تكن لتقع إلا عليك .
- إدميه : ولكنك لست جادا في اعتقاد ذلك . . ثم على الأخص . على الأخص . . كانت فرصة رائعة لإظهار مواهبك التبشيرية . .
- كلود : ( ينهض شاحب الوجه ) اخرسى .
- إدميه : أه ! لقد ثبت إلى نفسك .
- كلود : اخرسى . . فإنك تحطميني .

















- كلود : كفى .
- إدميه : إننى أجيب عوضاً عنك : إننا ضحينا به في سبيل  
أنانيتنا ، في سبيل جبتنا .
- ( نحس أنها على وشك البكاء . . تشيح بوجهها عن  
كلود ، وتهتر كتفاها برجفة تشملهما ) . هذا إذن  
هو كشف الحساب . ومسؤوليتي في ذلك ليست أقل  
من مسؤوليتك .
- كلود : ( في شبه وثبة ) ومع ذلك فقد أنقذتكما أنتم الاثنين .
- إدميه : مم ؟
- كلود : ماذا كنت تصبحين بغيري ؟ كان من الممكن أن  
يخذلك بدورك .
- إدميه : فلنفرض ذلك . . فماذا كان جزاء إخلاص ==  
كإخلاصك ؟
- كلود : لابد أنه سبب لك العذاب .
- إدميه : إنك تعلم أنه عندما يكون الحنان مجرد فضيلة  
وظيفية . . .
- كلود : والصغيرة . . إذا كان قد أصبح له ملاذ . .



كاسود : بل لقد أحبيتك بهذه الطريقة .  
إدميه : كلا . . لقد كانت لديك قوة صحيحة غير منقوصة  
وقد أنفقتها معي كما لو كنت تنفقها مع ابنة لك .  
ولكن . . ليس هذا هو الحب ، وأنت تعلم ذلك  
جيداً . . أما غير ذلك ، أما حبك لروحي ، أما  
المرأة التي توجد داخل نفسي ، فإنك لم ترضها ، بل  
إنك لم تظن إلى وجودها . . .

كلود : المرأة التي في نفسك ؟  
إدميه : أجل . . إنك لا تستطيع أن تفهم . . أوه . . من  
المحتمل ألا يكون هذا ذنبك . . إن ذلك كله هو  
الضريبة التي دفعتها على فصائلك . ( صمت )

## المنظر الرابع

الأشخاص أنفسهم - فريد

فريد : ( يفتح الباب بهدوء ) - عفواً . .  
إدميه : ما هذا ؟ من الأفضل في المستقبل أن تقرر الباب . .  
أنفهم ؟  
فريد : بالطبع ، إنه لن يدخل .







- إدميه : هنا يكمن جوهر المسألة .
- كلود : إننى أكرر هذه العبارة . . بلا فائدة ، إنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً ، ولا يستطيع إنسان أن يفعل له شيئاً . . إنه ضائع . . إنه شخص ضائع .
- إدميه : لست أدري لماذا تصرخ هكذا . . لقد طلبت منك أن تجيب بنعم أولاً . . . وأقرر أنه في اليوم الذى يطالب منك فيه القيام بتوضيح حقيقية . .
- كلود : ليس هذا صحيحاً .
- إدميه : لقد قلت توضيحاً حقيقياً .
- كلود : ليس ذلك لأنها توضيح .
- إدميه : ستلتمس أسباباً . . وأسباباً وجيهة ، لكى تمتنع عن القيام بهذه التوضيح .

## المنظر السادس

الأشخاص أنفسهم - أسموند

- أسموند : ( تدخل بسرعة وقد أمسكت بيدها خطاباً ) أبى . . . آمل أن يكون هذا الخطاب قد أرسل على غير علم منك ؟

- كلود : أى خطاب ؟
- أسموند : ( تناوله الخطاب ) — اقرأ
- إدميه : هل أعطاك هذا الشخص خطابي ؟ إنه كامل . .
- أسموند : ( موجهة الكلام إلى أبيها ) — ماذا تقول عن هذه التلميحات ؟
- كلود : اسمعى يا عزيزتى ، لو أننا وافقنا على أن أمك قد أمعنت قليلا في حذرنا . .
- أسموند : ليس في الموضوع أى حذر . . ما هذه الطريقة التى تريدان أن تحمياى بها وكأننى جماد ؟
- كلود : وبعد ! ليس في هذا ما يجح الشعور . . فمن الطبيعى لمن في مثل سنك ألا يلاحظ بعض الأخطار .
- أسموند : أية أخطار ؟ أنا ألح في وضع النقط فوق الحروف .
- كلود : إن والد هاتين الفتاتين الصغيرتين . .
- أسموند : أتخاف أن يكون في روثى مايسره ؟
- حسن . . هذا أمر طبيعى ، ولم يكتمه عني . . وعلى كل حال فهو أرمل .
- كلود : أسموند . إن زوجته ما زالت على قيد الحياة . .

أسموند : إنه أرمل . . ولو أنكما امعتما في دفعي إلى النهاية  
المحتومة . . .

إدميه : أهذا تهديد ؟

كلود : ( بصوت منخفض إلى إدميه ) — اتركيني لحظة معها

أسموند : أبي . قل لها إنها ارتكبت فعلة سيئة .

إدميه : إنني لا أحبذ هذه المحادثات . . ولكن إذا كان هذا  
يسرك . .

أسموند : إن أمي على حق . . فلن يفيد ذلك شيئاً .

( يقترب كلود منها ويضع يده برقة على كتفها .  
تنظر إليه . إدميه بابتسامة خبيثة . خبيثة . ثم يخرج ) .

## المنظر السابع

كلود — أسموند

كلود : عزيزتي . . إنك تقفين على مزلق خط .

أسموند : هذه الكلمة أيضاً !

كلود : لقد فهمت اليوم معنى ترددك في اليوم السابق .

أسموند : ثم ؟

كلود : هذا الرجل . .

- أسموند : إنك لاتعرفه ، ولاحق لك في الكلام عنه .
- كلود : مجرد أنه أعطاك ذلك الخطاب لقراءته ...
- أسموند : إننى أنا التى طلبت ذلك .
- كلود : وما هى ، إذن ، علاقتكما ؟
- أسموند : إننى أعتقد أن جوانحه تنطوى على عاطفة قوية نحوى ، وأنا أيضاً أحبه كثيراً .
- كلود : ولكنك لم تعودى طفلة ، ولا يمكن أن تتجاهلى أنه قد يكون في عاطفته نحوك شىء من الشر ..
- أسموند : أتقصد من الناحية الجسدية ؟ إننى لا أشك في هذا لحظة واحدة . ( صمت )
- كلود : مازلت مقتنعاً أنك لو واجهت الواقع لفهمت .. إن هذا الموقف لا يخرج له .
- أسموند : ربما لم يكن هذا يقينا مطلقاً .
- كلود : أتفكرين في وفاة زوجته ؟
- أسموند : أوه ! هذه المرأة ، إنها ستدفنتنا جميعاً .
- كلود : ثم .. ( صمت ) . وأخيراً ماذا تأملين ؟ وعلى أى شىء تعتمدين ؟

أسموند : إننى لا آمل شيئاً ، ولا أعتد على شىء ، كل ما في الأمر أنى في حاجة إلى النظر في نفسى بوضوح .

كلود : رأيت ، إنك لست متأكدة حتى لها تشعرين به . .  
ولحسن الحظ ، يا إلهى !

أسموند : ليس هذا ما قصدت على الإطلاق أن أقوله . . إن ما أسميه النظر إلى نفسى بوضوح معناه أن أعرف ما هو الخير وما هو الشر بالنسبة إلى ( حركة من كلود )  
إننى لا أوهم نفسى بشىء بالنسبة لطبيعة مشاعره .  
بل لو أنه لا يضم لي غير مجرد الصداقة المشوبة بالإجلال ، لا عتبرت نفسى سعيدة بذلك ، بالرغم من أنه قد يصدك هذا التصريح . كلا . . وأعتقد أنى إذا ارتكبت عملاً من أعمال الطيش ، فإنه سيسر كثيراً باستغلاله . . إن الرجال جميعاً سواء .  
( حركة من كلود ) . وأنت يا أبى تفهم جيداً أنك لا تستطيع الحكم على ذلك . وهذا العمل الطائش ليس لي إلا أن أتجنبه ، أو أن أفعله وأنا على بينة من أمرى .

كلود : ( يتحكم في أعصابه بمشقة ) إنك تتحدثين في هذه اللحظة كطفلة . . أو أنك بالأحرى تبحثين عن











- كلود : (باطف) - صه !
- أسموند : أبي (تنهمر الدموع من عينيها ، ويضمها كلود إلى صدره ) إن رأسي يلدور .
- كلود : إنني أطلب صفحك يا عزيزتي المسكينة ..
- أسموند : كلا ...
- كلود : كان ينبغي لي ألا أبوح لك بهذا السر على الإطلاق ..
- أسموند : سينقضي كل هذا ... وينبغي أن أعتاد عليه ..
- كلود : يا لصغيرتي المسكينة !
- أسموند : على شرط أن تشرح لي كل شيء .. فلن من حقى أن أعرف كل شيء.
- كلود : يا عزيزتي ... إنها قصة شنيعة ، ولا داعي لمعرفة التفاصيل ، ولا ينبغي أن تسألي .. أحداً - صدقي .. إنها قسوة لا يبرر لها .
- أسموند : وكنت أخیل أن لي أسرة .. (بحسرة ومرارة)
- كلود : يجب النظر إلى الأشياء نظرة سامية .. (تنظر إليه أسموند ) . لقد كنت محبوبة حباً رقيقاً .
- أسموند : محبوبة منك .

- كلود : منا ( حركة من أسموند ) إن هذه الكارثة لم تنجم مطلقاً على حياتك .
- أسموند : هل تعتقد ذلك ؟ أما أنا فاني أدرك جيداً ..
- كلود : وحتى الآن ، بعد أن كشفت لك عن هذا السر .
- أسموند : ( في دهشة مستورة ) — هل تريد أن تقول إنه لن يتغير أى شيء على الإطلاق ؟ .
- كلود : عزيزتى .. افهمينى .. إننى لا أطلب المحال ، ولكن من حقى أن أطلب منك ...
- أسموند : ماذا ؟
- كلود : أن تمتنعى عن إصدار أحكام معينة .
- أسموند : ولكن ، أنصت إلى ، إننا لانتحكم فى أفكارنا .
- كلود : إلى حد ما .. ولكن ، تروى .. فسيكون ذلك باعثاً على النفور .
- أسموند : وبعد .. فهذا شيء غريب جداً ... ولكنه يبدو في نهاية الأمر وكأنه لم يكن كشفاً ... قلت لى إنه لا ينبغي الحكم على أمى ، ولكننى أشعر أننى كنت أحكم عليها دائماً .. ففضائلها ، وعطفها .. وإحسانها ، وتقشفها ، كل ذلك لم يخذعنى قط .. وكأنى قد فطنت إلى أن هذا كله .. لم يكن هى ..





يائس ) : صغيرتي أسموند . . يجب أن تقسمي لي  
على أن هذه الأفكار الفظيعة لن تعود مطلقاً . . .

أسموند : أية أفكار ؟

كلود : إذا كان لا بد من أن أفقدك على هذا النحو . . فلماذا  
تبتسمين ؟

أسموند : تبادو كما لو كنت تريد استغلال الموقف . . ولكنني  
أفهم موقفك . . إنك محطم تماماً . . مريض . . وحين  
أفكر في أنك كنت منذ اثنتي عشرة سنة أو خمس  
عشرة سنة ، لا تعرف . .

كلود : ( في صوت منخفض جداً ، كما لو كان يعتريه الحجل )  
كلا . . لم أكن أعرف . .

أسموند : يا أبي المسكين الحبيب ( تقبله ) . .

## المنظر الثامن

الأشخاص أنفسهم - مدام ليوان

م.ام ليوان : ( متأثرة ) - آه . . هذا لطيف . . صباح الخير  
يا حبيبتي . . قل لي . . يا كلود . . إنني مسرورة  
كل السرور لما أنبأني به فرانسيس .



































فريد : بما فيه الكفاية . . ولكن هناك أشياء غير يسيرة . .  
فالיום يرى المرء نفسه مطالباً بالتضلع في الفلسفة وفي  
طائفة من الحزبات . . وهذا لا يؤدي إلى شيء .  
ولست أدري إن كنت مثلي . ولكنني أرى أن ذلك  
لا ينبغي أن يكون ضرورياً . . أما الذي ينبغي حقاً ،  
فهو أن يكون لدينا الإيمان ، وليس لي أن أشكو من  
هذه الناحية ، إذ في وسعي أن أقول إن لدى إيماناً  
عظيماً ، عظيماً جداً .

أسموند : لك تهنئي .

فريد : أوه ! لاداعي للتهنئة ، فهذه هي طبعي .

## المنظر السابع

### الأشخاص أنفسهم - كلود

كاود : ( مخاطباً فريد ) - صباح الخير يا فريد .

فريد : ( تتصاعد حمرة الخجل إلى وجنتيه ) - صباح الخير  
ياسيدي ، أعتذر عن إزعاجي لكم ، فقد أتيت  
لأستعلم عن شيء من الآنسة أسموند .

كلود : لاضير عليك ( يخرج فريد ) .

أسموند : كان من المحتمل أن أسعد بالوقوع على نمرة من هذا الطراز ، إذا كان . . أرجو المَعذرة يا أني ؟  
( تجلس إلى المكتب ، وتأخذ في الكتابة ) .

كلود : إلى من تكتبين ؟  
أسموند : سأقول لك بعد لحظة ( تغلق الخطاب ، وتتجه نحو الباب . ) فيليسي !

فيليسي : ( من وراء الكواليس ) . . نعم يا آنسة . .  
أسموند : احملى هذا الخطاب فوراً إلى السيد ميجال .  
فيليسي : ( تدخل وتتناول الخطاب ) — سمعاً وطاعة يا آنسة  
( تخرج ) .

كلود : ما معنى هذا ؟  
أسموند : الآن . . قل لي يا أني ، لقد اكتشفت لتوى . . .  
لماذا تركتني أعتقد أنك لم تعلم الحقيقة إلا الآن ؟  
أنا لا أفهم جيداً ، وأعترف أن ذلك لم يكن أمراً  
مقبولاً من جانبك . فأنا التي كنت أرجو أن يسود  
بيننا مزيد من الثقة من الآن فصاعداً . .

كلود : ( بصوت منخفض دون أن ينظر إليها ) لقد كذبت  
عليك بدافع من الجبن . .

- أسموند : كيف ؟
- كلود : خوفاً من أن توجهي إلى بعض التعليقات ..
- أسموند : أية تعليقات ؟ ( صمت .. تحاول أسموند أن تستشف ما يدور بنفسه ) ..
- كلود : ( بصوت منخفض جداً ) — تعليقات مهينة بالنسبة إلى ..
- أسموند : فهمت ..
- كلود : أين والدتك ؟
- أسموند : إنها راقدة في فراشها .
- كلود : أهي مريضة ؟ ( حركة تهرب من أسموند ) ماذا بها ؟
- أسموند : يبدو لي أن بها شيئاً من اليأس .
- كلود : هل تحدثت إليها عن هذا الموضوع ؟
- أسموند : بضع كلمات ..
- كلود : ( في صرامة ) — ومع ذلك فقد منعتك من أن تفعل .
- أسموند : إنها هي التي فتحت لي موضوع ذلك السيد .. فقد طلبت مني أن أذهب لموانسته من حين لآخر .
- كلود : ( بعنف ) — لن تذهبي .

- أسموند : ليس في نيتي أن أذهب .
- كلود : إنني أمتنعك من ذلك . . وهذا كل ما في الأمر .
- أسموند : تستطيع أن توفر على نفسك هذا التعب . . .
- كلود : وإذا تصادف أن سمح لنفسه بالعودة إلى . . .
- أسموند : هذا أمر بعيد الاحتمال . .
- كلود : لم يعد ينقصني إلا هذا ، أن تذهبي إليه دون إذني .
- أسموند : ولكنني ، لست أدري يا أبي ماذا حدث لك . .
- كلود : بعد كل ما حدث ، تستطيعين أن تعتقدي ، لست أدري ، أنا . . ولكن ، لقد انتهى كل شيء ،
- إني أضمن لك ذلك . .
- أسموند : ما هذا الذي انتهى ؟
- كلود : حسبي ما تلقيته من إهانات . . آه ! . لو استطعت أن أؤدي أحداً .
- أسموند : لاتستطيع ذلك .
- .. كلود : أوه ! بلي ، الآن أستطيع . . لو أقذف بشخص ما إلى الخارج وأنهال عليه ضرباً . .
- أسموند : لن يجلب لك ذلك أي سرور .















































































































































































































































































































































































































